

المدخل إلى علم النفس

الفرقة الأولى علم النفس (ساعات معتمدة)

كود المقرر نفس (١٢١)

أستاذ المقرر

د/ رضا محمد حامد

مدرس علم النفس-كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

العام الجامعي

٢٠٢٤/٢٠٢٣

محتويات الكتاب

الفصل الأول

علم النفس

الفصل الثاني

فروع علم النفس

الفصل الثالث

منهج البحث في علم النفس

الفصل الرابع

العمليات العقلية

الفصل الأول

علم النفس

محتويات الفصل :

مقدمة

تعريف علم النفس

العلم والدراسة العلمية

أهداف علم النفس

العلاقة بين أهداف علم النفس

تطور علم النفس

مقدمة :

هناك شغف لدى الأفراد لمعرفة كيف يسلك الناس بل ان اهتمامنا لا يتوقف عند معرفة ما يحدث فقط ولكن يمتد ليشمل معرفة أسباب ما يحدث ، الاجابه على مثل هذه التساؤلات غالباً ماأتى فى صورة غير دقيقة أو بأسلوب غير منتظم ، ومن هنا كان الاهتمام بأن يكون هناك نظاماً دقيقاً من المعلومات حول السلوك الانسانى ، وهو النظام الذى تطور ونما وسمى بعلم النفس واصبح هو العلم المختص بدراسة سلوك الانسان .

والمقصود بالسلوك هنا كل أوجه نشاط الفرد التى نستطيع ملاحظتها سواء بالأدوات القياسية أو بدونها ، فحركات الفرد وإيماءاته ، وطريقة استخدامه للغه وتخيالاتهالخ كلها ألوان من السلوك من الممكن أن نلاحظها وندرسها ، وبالرغم من أن كل موضوع منفصل على الآخر إلا أنه يجب أن نضع فى اعتبارنا انه لا وجود لهذه العمليات النفسية مستقلة عن بعضها ، بل أن السلوك الانسانى هو محصلة التفاعل بين كل هذه العمليات ، كل واحده تؤثر فى الأخرى وتتأثر بها فى نفس الوقت .

ومن الملفت للنظر أنه بالرغم من أن علم النفس من أكثر العلوم التى تدخل دائرة اهتمام الأشخاص فى كثير من مواقف حياتهم اليومية ومع ذلك فمن

الملاحظ أن هناك خطأ كبيراً بين المعتقدات الشائعة لدى عامة الأشخاص حول موضوعات علم النفس ، وبين علم النفس كما يمارسه بالفعل علماء النفس باعتباره دراسة قائمة على المنهج العلمى ومن هنا سنحاول أن نوضح علم النفس كعلم قائم على المنهج العلمى من خلال تعريف علم النفس .

تعريف علم النفس : " Psychology "

علم النفس هو الدراسة العلمية لسلوك الكائنات الحيه ، بما فى ذلك الانسان ، بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك أو تفسيره (أى التوصل إلى المبادئ والقوانين العلمية التى تفسره) وإلى التنبؤ به ، والتحكم فيه (أى حسن التخطيط لتوجيهه). ومن هذا المنطلق فإن علم النفس يصف السلوك (ماذا يحدث) كما يحاول تفسير وتوضيح أسباب السلوك (لماذا يحدث) وعملية وصف السلوك هذه ليست عملية عرضية أو غير هادفه ولكنها عملية تهدف فى المقام الأول إلى الضبط (التحكم فى) السلوك والتنبؤ به ، وبصفه أساسية فإن التنبؤ بالسلوك يحدث عندما يستطيع عالم النفس أن يتوقع الأحداث التى تحدث بصوره طبيعیه توقعاً صحيحاً ، بينما يعنى الضبط (التحكم) أن عالم النفس قد أحدث تغييراً معيناً فى الموقف وقام بملاحظة ما يترتب على ذلك من تغير .

وما يعنينا ذكره هنا أن موضوع الدراسة النفسية للسلوك الانساني تعنى بالانسان ككل لا من حيث هو كتله خاضعة لقانون الجاذبية ، ولا من حيث هو مركب من عناصر كيميائية قابله للاحتراق والتفاعل والتحول ، ولا من حيث هو كائن حى مكون من خلايا وأنسجه وأعضاء يولد وينمو ويتكاثر ويموت ، ويرد على المؤثرات الماديه بالحركه أو بالكف عن الحركه ، بل من حيث هو كائن حى يعيش فى مجتمع يستجيب أفراده للتنبهات الداخليه (الفسولوجيه والسيكولوجية) والخارجية (الفيزيائية والاجتماعية) من حيث هى علامات أو إشارات أو معان أو رموز لها بطانتها الوجدانية ، وتدمج فى إطار ذهنى (وترتيب قيمى) لدى الشخص الذى يستجيب لها وعلى هذا الأساس ، نستطيع أن نفهم كيف أن صوتاً خفيفاً لإبن يستغيث يكون أكثر إثارة لأمه التى تبحث عنه من صوت انفجار شديد يقع بالقرب من هذه الأم .

وبنظرة سريعة إلى التعريف السابق لعلم النفس نجده يشتمل على بعض المصطلحات التى سنورد شرح لها فيما بعد ، وهى على الترتيب :

١. العلم أو الدراسة العلمية

٢. الكائن الحى .

٣. التنبه .

٤. الاستجابة .

العلم والدراسة العلمية :

كون علم النفس دراسة علمية ، يعنى أن تتطبق على دراسات علم النفس مواصفات أو خصائص النشاط الانسانى الذى يطلق عليه اسم العلم ، والتي يوجزها بعض الباحثين فى أن العلم عبارة عن :

"سلسلة مترابطة من المفاهيم والقوانين والاطارات النظرية التى نشأت نتيجة للتجريب أو المشاهدات المنتظمة " ويتضح من هذا أن العلم يتضمن جانبين الجانب الأول هو : مضمون المعرفة أو المعلومات التى تتراكم وتتكامل عن أحد مجالات الاهتمام .

الجانب الثانى : المنهج العلمى الذى يتمثل فى الأساليب المنظمة التى يتبعها العلماء سعياً لاكتشاف المتغيرات فى طبيعه (فى الدراسات الاستكشافية) أو الربط بينها (فى الدراسات الوصفية والارتباطية) أو محاولة تفسيرها (فى الدراسات التجريبية) .

أما أهم خصائص الدراسة العلمية التي تنطبق على كل فروع علم النفس
فتمثل في كل من :

١ - الموضوعية : ويقصد بها معنيان :

الأول : ويتمثل في البعد عن الأهواء والميول الذاتية والأغراض الشخصية أى
إقصاء الميول والاهواء عند الحكم على المواقف والأشياء ولا يستقيم علم مع
إصرار الباحث على أن يرى الظواهر كما يرغب هو لا كما هي في الواقع أى
كما توجد مستقلة عن أهوائه وأمانية .

وهذا المعنى هو الأكثر شيوعاً ، وهو أمر بديهى فى تدريب الباحثين على دقة
إدراك الوقائع المتصلة بموضوعات دراستهم .

أما المعنى الثانى للموضوعية وهو الأهم : فيتمثل فى اشتراك اكثر من
شخص فى ادراك أو تسجيل خصائص الظاهرة موضوع البحث بنفس الدرجة
تقريباً أى توفر أكبر قدر من الاتفاق بين أكثر من باحث - مستقل كل منهم
عن الآخر فى ادراك جوانب الظاهره أو خصائصها ومن المهم أن يكون هذا
الاتفاق أكبر من مجرد إمكان الحدوث بالصدفه وتحقيق الموضوعية فى دراسة
يمكننا من التحقق من القضايا والفروض النظرية كذلك من إمكانية إعادة
الدراسة .

٢- القياس :

ويتمثل القياس فى استخدام رموز رقمية فى التعبير عن خصائص الأشياء أو الأحداث (على أساس قواعد معينه) مثل إعطاء رقم أكبر لتوافر خاصية معينة بدرجة أكبر ، ورقم أقل لتوفر هذه الخاصية بدرجة أقل .

أى استخدام الأرقام لتحديد مقدار أو كمية متغيرات معينه تتوافر فى الأشياء أو الاشخاص ، وهذا يعنى استخدام التقدير الكمى لمقدار توفر خصائص الأشياء أو الأحداث أو خصال الأشخاص أى تطبيق الخصائص العامه للقياس على صفات الأفراد والجماعات مثل الذكاء ، والقلق ، والعدوانية ...الخ من سمات واستجابات .

٣- الطابع التراكمى (غير الشخصى):

رغم أن العمل العلمى - سواء تمثل فى اختراع أو اكتشاف أو نظرية متكاملة ، ينسب فى المراحل الأولى لظهوره إلى عالم معين ، إلا أن اتسامه بالموضوعيه ، والقابلية للتحقق والقابلية للاعادة ، يجعله لا يلبث أن يضاف إلى التراث العلمى الانسانى ، مما يفقده بعد فتره وجيزه طابعه الشخصى أو انتماءه لأحد العلماء ، ويجعله يتسم بطابع غير شخصى .

ويساعد هذا الطابع غير الشخصي على اتسام النشاط العلمى بأنه تراكمى بمعنى أن قضاياه التى تم التحقق فيها ، عن طريق المنهج العلمى . تضاف إلى التراث العلمى الإنسانى الذى سبق التحقق منه ، كما تمهد لنشاط علمى لاحق ، مما يحقق نوعاً من التقدم والارتقاء مع تتابع الوقت وتراكم جهود العلماء .

٤ - وجود علاقة دينامية بين المشاهدات والإطارات النظرية :

القيام باجراء التجارب أو جمع المشاهدات المضبوطة من أهم خصائص النشاط العلمى ، على أن هذا الجانب لا يستوعب النشاط العلمى كله ، وإن كان يمثل شرطاً من أهم شروطه ، ذلك أن النشاط العلمى نشاط دينامى متتابع الحلقات تتفاعل فيه كل من المشاهدة والمفاهيم النظرية التى تمثل إطارات نظرية أكثر تجريباً ، بحيث لانستطيع على وجه الدقه أن نحدد هل نقطه البداية لهذا النشاط تتمثل فى المشاهدة أم فى المفاهيم المجردة .

• الكائن الحى :

يشير هذا المفهوم - الوارد فى تعريف علم النفس - إلى كل كائن يتصف بالحياة ، وقادر على الاحتفاظ بذاته كنسق متكامل ، وصفات الكائن الحى وأحواله هى التى تشكل استجاباته للنتببهات المختلفه ، فإذا كان رد الفعل فى

الظواهر الطبيعية يساوى الفعل ، ويقابله فى الاتجاه ، مهما تكرر ، مع تساوى الظروف الخارجيه وصفات الفعل أو التنبيه فإن الأمر يختلف بالنسبه للكائنات الحيه لأن رد الفعل أو الاستجابه لا تساوى التنبيه فى كل الأحوال وليست مضادة له فى الاتجاه دائماً لأن الكائن الحى قد يتعرض لنفس التنبيه (الذى قد يكون طعاماً معيناً) مرتين متتاليتين ، حيث يكون فى المره الأولى " جائع " وفى المره الأخرى " شعبان " فيستجيب بطريقة تتسم بالإقبال فى المره الأولى وبالتجاهل أو النفور فى المره الثانية أى أن استجابة الكائن الحى تتشكل وفقاً لحاله الكائن الحى الداخليه وإذا ارتقينا إلى الانسان نجد أن استجاباته أكثر تعقيداً من الكائنات الحيه الأخرى ، لأنها لا تتشكل بدوافع فسيولوجية فقط بل كذلك بدوافع سيكولوجية قد تتمثل فى ذكريات وأحلام أو آمال أو توقعات ودوافع اجتماعية قد تتخذ شكل معايير أو قيم يتمثلها الفرد فى مراحل عمره المختلفه ... الخ .

مما يجعله يستجيب لمختلف التنبيهات بطريقة مختلفه عن أى فرد آخر حتى وإن اتفق مع عدد من الأفراد فى الطابع العام للاستجابه .

• التنبیه " STIMULUS "

هو أى تغيير فى مستوى الطاقة يصدر من داخل الكائن الحى أو من خارجه سواء كان فى نفس الاتجاه السابق نحو مزيد من القوة أو الشدة أو فى اتجاه عكسى نحو مزيد من الضعف والنقصان .

والتنبیهات الداخلىة نوعان :

١ - تنبیهات فسیولوجیة :

أى تحدث نتیجة لنشاط فسیولوجى داخلى ویدخل فى هذا التنبیهات التى تتداخل مع الجهاز العصبى السمبثاوى كحالات امتلاء أو فراغ المعدة أو المثانه ... الخ. كذلك زیادة أو نقصان المواد الكیمیائیة فى الدم وسائر السوائل العصبیة ومن مظاهر هذه الحساسیة الباطنیة العامة " الجوع - العطش - التقزز - التعب - الرعشة - ضیق التنفس او انفراجه " ، ولهذه الحساسیة أهمیة عظمى فى تنشیط السلوك وتعدیله ، كذلك هناك التنبیهات الخاصة بالحساسیة اللمسیة السطحیة المنتشرة ، كذلك الضغط ، والشد ، الاحتكاك ، الحركة .

تتجلى أهمیة الحساسیة الحشویة فى أثرها الخطیر فى إعطائنا إحساساً غامضاً بوجودنا الجسمانى ، كما أن الحساسیة الباطنیة الخاصة تولد فینا الشعور بوجودنا النفسانى ، وتساعد على التمییز بین الأنا والغير .

٢- تنبيهات عقلية أو ذهنية أو نفسية :

أى تحدث نتيجة لنشاط عقلى أو ذهنى أو شعورى ، أو نتيجة لجميع العوامل النفسية الشعورية وغير الشعورية التى تؤثر فى توجيه السلوك ومنها :

التذكر لمواقف أو أحداث أو شخصيات كان لنا بها علاقات أو خبرات فى الماضى ، كذلك توقع أحداث معينه يجعلنا فى حالة ارتقاب لأشياء لا وثوق بحصولها سواء أكان هذا التوقع لشيء محبوب إلى النفس أو لشيء مكروه . كذلك من التنبيهات النفسية الداخلية مشاعر الحب أو البغض لأشياء أو أحداث أو أشخاص دون معرفة واضحة لأسباب المشاعر وما يترتب على كل ذلك من مشاعر إيجابية أو سلبية أو من سلوك يتسم بالإقبال أو الإحجام .

التنبيهات الخارجية وهى نوعان :

١- تنبيهات فيزيقية : تتمثل فى أى تغييرات فى البيئه الفيزيقيه المحيطة بالكائن الحى .

٢- تنبيهات اجتماعية : تحدث نتيجة للتعامل مع افراد آخرين بطريقة مباشرة أو غير مباشره .

وتتشرط التنبيهات الاجتماعية المباشرة الحضور الفعلى للاشخاص الآخرين الذين تصدر عنهم هذه التنبيهات سواء أكانوا أفراداً أو جماعات وبأى شكل من أشكال التفاعل أو العلاقات التى تجمعهم سوياً .

تتمثل هذه التنبيهات المباشرة الصادرة عن الآخرين فى شكل كلمات يتم النطق بها فى مواجهة الآخرين أو على مسمع منهم ، كما قد يتمثل فى أنواع من التصرفات الحركية العامه التى يقوم بها آخرون وتعتبر تنبيهات بالنسبة لفرد معين كما قد تتمثل فى الاشارات أو الحركات ذات الدلالة والمعنى الاجتماعى .

أما التنبيهات الاجتماعية غير المباشرة فهى لا تشترط الحضور الفعلى للآخرين ، أو لمن تصدر عنهم ، لإحداث تأثيرها وتتمثل فى الرموز الاجتماعية كدلالة الأعداد على الأشياء ودلالة الحروف على الكلمات . ودلالة الأمور الحسية كالأشكال والأسماء ، ودلالة بعض الألفاظ على معان مجردة مثل لفظ الحرية . كذلك اسم الثعلب كإشاره إلى الخداع ، وغير ذلك من الرموز التى نستخدمها فى لغتنا ومن المعروف أن كل ثقافة لها لغتها التى لها دلالة خاصة بها .

كذلك تعد المنشآت أو المنجزات الحضارية من التنبيهات الاجتماعية غير المباشرة مثل الأهرام ، المعابد ، المساجد ، الكنائس ، أو الانجازات التى تحققت

من خلال جهود علمية وتنفيذية وتحمل في طياتها نوعاً من التنبيه أو يوحى بمستوى من التقدم الحضارى والعلمى الذى أدى إليه .

• الاستجابة " response "

يتفق معظم علماء النفس على أن المهمة الرئيسية لعلم النفس ، إنما تتمثل - إلى حد كبير - فى دراسة الظروف التى تحدد الاستجابة .

ويعنى مفهوم الاستجابة كل مايصدر عن الشخص من أنواع السلوك مادية أو رمزية يميل عن طريقها إلى تحقيق إمكانياته أو خفض التوترات التى تهدد وحدته وتجعله يشعر بنشاط ، ويشير مفهوم السلوك إلى كل مايصدر عن الفرد من تغيرات فى مستوى نشاطه فى لحظه معينه .

وتتسع الاستجابة لتشكل كل أنواع النشاط التى تصدر عن الفرد والتى قد تتمثل فى نوع من النشاط الحركى العضلى ، أو الفسيولوجى ، أو الرمضى ، ويمكن تصنيف أنواع الاستجابة على أساس :

أولاً : درجة تدخل إرادة الشخص في إحداثها وتنقسم إلى :

١- نشاط إرادي :

كالحركة الإرادية والكلام والتذكر والادراك ومواصلة التفكير من أجل حل مشكلة معينة ، أو الامتناع إرادياً عن الحركة عموماً ، أو الامتناع عن تحريك اليد نحو شخص يمدّها لسلام ، أو نحو طعام معين الخ .

٢- نشاط غير إرادي :

مثل الحركات غير الإرادية المنعكسة لدى الشخص السوي (أو المرضية لدى بعض فئات المرضى) أو زيادة أو نقصان إفرازات بعض الغدد.

ثانياً : كما يمكن تصنيف أنواع الاستجابة على أساس المدة بين صدورهما وبين التنبيه الذي أثارها إلى :

١- استجابات مباشرة : تصدر عقب التنبيه مباشرة ، أو بعد فترة زمنية قصيرة من التنبيه .

٢- استجابات غير مباشرة وهي تنقسم إلى نوعين :

أ (مرجأه : أى تؤجل لفترة من الوقت تتراوح بين الساعات أو سنوات عديدة كما هو الحال في عادة الأخذ بالتأثر مثلاً في صعيد مصر .

ب) تراكمية : أى تحدث أو تتشكل بفعل تراكم التعرض لتنبهات متتابعة لمدة طويلة من الوقت ، وهذا النوع الأخير من الاستجابات غير المباشرة (أى الاستجابات التراكمية) هو الذى يلقى أكبر قدر من الاهتمام من الباحثين فى علم النفس ، لأنه يشتمل على عدد من أهم مجالات الدراسة فى علم النفس مثل دراسات السمات السيكولوجية التى تتناول : القدرات العقلية العامة أو الذكاء ، وقدرات التفكير الابداعى ، والسمات المزاجية للشخصية أو الاستعدادات الوجدانية العامة مثل الاتزان الوجدانى ، النزعة إلى الاستقلال الشخصى الدافع إلى الانجاز ، الاندفاعية ، المعتقدات ، والاتجاهات .

ج) كما يمكن تصنيف الاستجابات سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة من حيث الاعتدال فى الاستجابة فى مقابل الشذوذ ، والشذوذ يمثل الندرة فى مقابل الشيوع فعندما يستجيب شخص لشخص آخر قام بسبه بأن يقتله فتلك استجابته شاذة غير شائعة فى مقابل أى شكل آخر معتدل من اشكال الاستجابة سواء بتبادل السبات أو الانصراف أو المنافسه... الخ .

أهداف علم النفس :

علم النفس - شأنه في ذلك شأن غيره من العلوم- يتفق معها في الأهداف الأساسية للعلم . عندما يتناول ظواهر بالدراسة والبحث . وهذه الأهداف هي :

١- الفهم والتفسير .

٢- الضبط والتحكم .

٣- التنبؤ .

أولاً : الفهم والتفسير :

الانسان - منذ بدء تاريخه حتى الآن يجاهد ليعرف كل مايحيط به من ظواهر محاولاً فهمها وتفسيرها . وعندما لم يكن يسعفه علمه ، أو منهجه في الوصول إلى الفهم السليم والتفسير الصائب ، كان يضطر إلى التفكير الغيبي ، يفسر به ويعلل حدوث الظواهر معتقداً في سلامته وصدقه فظواهر الخير ترجع إلى رضا الألهة عن البشر ، وظواهر الكوارث والمصائب ترجع إلى غضب الألهة عليهم وانتقامها منهم....وهذا الضرر الذي أصاب فلاناً سببه السحر الذي سعى إليه عدوه واستعادة هذ المريض لصحته ترجع إلى التميمة المباركه من عمل هذا العراف الطيب ، فهذا المرض الذي ذهب بعقل هذا المهووس ، فاضطرب له سلوكه واعتل تفكيره ، إنما يرجع إلى شيطان نجس قد تسلل إلى جسمه فسكنه ،

وليس من سبيل إلى شفائه إلا بطرد هذا الشيطان الخبيث وخروجه من جسمه .
ولازلنا حتى اليوم نجد بقايا هذا الفهم والتفسير منتشرة بين عدد - لا بأس بحجمه
- في مختلف المجتمعات خاصة المتخلفه منها ذلك أن الإنسان لا يطبق الغموض
، ويفزع من المجهول ، فيسعى إلى استجلائه معتسفاً المعرفة والأسباب والعلل ،
حتى أن بعض علماء النفس يعد حب الاستطلاع والرغبة في المعرفة غريزه
فطرية في البشر بحكم تكوينهم وطبيعتهم.

وبالمثل ، فإننا نجد أن هدف الفهم والتفسير والمعرفة من أول الأهداف الأساسية
التي يسعى العالم لتحقيقها من بحثه في الظواهر التي تقع في مجال اختصاصه
، فالباحث في مجال علم الطبيعه مثلاً يريد أن يفهم ويعرف ويفسر ويعلل أسباب
حدوث ظاهرة طبيعية كتمدد المعادن بالحراره على سبيل المثال . .وعالم النفس
بالمثل - أيضاً يريد أن يعرف ويفهم ويكتشف أسباب حدوث الظواهر النفسية :
كالتفوق الدراسي ، أو التوافق المهني ، أو المرض الهستيرى .

ثانياً : الضبط والتحكم :

من القول المأثور إنك إذا عرفت استطعت ، بمعنى أن الانسان إذا نجح في فهم
أسباب حدوث الظاهرة ومعرفة عواملها استطاع أن يؤثر في مسار الظاهرة نفسها
ويتحكم في حدوثها ، فيمكنه أن يهيئ لها أسباب حدوثها فتحدث ، كما يمكنه أن
يغير في هذا العامل ، أو ينقص من هذا ، أو يزيد من ذاك ، أو يلغى أو

يضيف فتتأثر تبعاً لذلك الظاهرة وتتحور ، بل أنها تحدث وفق مانريد ، أو تختفى وقتما نشاء .

إذاً فنحن هنا نتحكم فى الظاهرة ونضبطها بناءً على فهمنا لمسببات حدوثها وتغيرها واختفائها ، وظروف كل ذلك وعوامله . وبمعنى آخر ، فإننا بناءً على تحقيق الهدف السابق (الفهم والتفسير) ننطلق لتحقيق الهدف الحالى .

ولذا فإننا نتوقع أن يؤدى وجود قصور ما فى معرفتنا وفهمنا وتفسيرنا للظاهرة إلى أن تقل كفاءتنا فى ضبطها والتحكم فيها ، ومن الصعب أن يستقيم لنا ذلك ما لم يستقم لنا الفهم ، وتسلم المعرفة .

ولئن بدأ لنا الهدف الأول للعلم هدفاً نظرياً بالدرجة الأولى يستهدف ترف العلم وإشباع حب الاستطلاع والرغبة فى المعرفة واستجلاء الغموض - وهو حتى بهذه النظره لا بأس به فى حد ذاته - فإن الهدف الثانى - الذى نحن بصدده الآن - هو فى الواقع هدف تطبيقى نفعى إلى أبعد حد .

فنحن نريد أن نتحكم فى الظواهر حتى تحدث فى الوقت المناسب ، وبالشكل الذى يحقق لنا الفائدة ويقينا الأضرار . فمثلاً ، من معرفتنا تمدد المعدن بالحرارة نصمم قضبان السكك الحديدية ونثبتها بالطريقة التى لا تجعلها تنقوص أو تتزحزح عندما تتعرض لحرارة الشمس حتى لا يضطرب سير القطار عليها . وبالمثل ، فإنه بناءً على معرفتنا بأسباب الصحه النفسية نعمل على تهيئتها

لأبنائنا وعلى علاج اضطراباتهم فيهم ... ولذلك ، فإننا نجد أنه عندما تسبق
الرغبة في ضبط الظاهرة فهمها وتفسيرها يصبح من اللازم لإتمام هدف الضبط
أن تبدأ أولاً بتحقيق هدف الفهم والتفسير .

ثالثاً : التنبؤ :

أما الهدف الثالث من أهداف العلم الأساسي فهو إمكانية التنبؤ بحدوث الظاهرة
قبل أن تقع . وتتبنى إمكانية تحقيق هذا الهدف - كسابقة أيضاً- على استقامه
فهم الظاهرة وسلامة تفسيرها ودقة معرفتها ، أى على مدى الدقه فى تحقيق
الهدف الأساسى الأول من أهداف العلم وهذا التنبؤ يعتبر هدفاً تطبيقياً نفعياً مثل
مايعتبر الهدف الأساسى الثانى والخاص بالضبط والتحكم ، ذلك أننا نتوقع
حدوث الظاهرة ، متى أدركنا توافر مقدماتها وتهيؤ عواملها مما يمكننا عند ذاك
من الاستعداد لملاقاة الظاهرة بما نستطيع معه جنى ما نستطيع من فوائدها ،
وتحاشى ما نستطيع تحاشيه من أضرارها .

فمثلاً، نحن نسمع عن انتشار وباء فى بلد قريب ، ونعرف أن العدوى من أهم
مسيباته ، فنتخذ من هذه المعرفة أساساً للتنبؤ لانتشار هذا المرض عندنا
مستقبلاً ، مالم نسارع إلى حصاره ومقاومته بتحصين المواطنين ومنعهم من
السفر إلى هذا البد الموبوء ، ومنع مواطنى هذا البلد من الدخول إلى بلدنا إلا

بعد الفحوص الطبيه والتحصينات ومختلف الاحتياطات التي تمنعهم من نقل
الوباء الينا .

ولنا ان نتصور - أيضاً- فى حالة امكانية التنبؤ المسبق بموعد زلزال مدمر فى
منطقة ما كيف يمكن لساكنيها - نتيجة هذه المعرفه المسبقه - تفادى الكثير من
أضرار هذا الزلزال الذى يستطيع أن يضرهم أبلغ الضرر فيما لو داهمهم دون
سابق توقع ، أو دون تنبؤ صائب .

وبالمثل ، يدرس عالم النفس عوامل النجاح الدراسى وعوامل الفشل الدراسى
ومسببات كلاً منهما ، فيمكنه استناداً على هذا - أن يتنبأ بمن يحتمل نجاحه
ومن يحتمل فشله قبل أن يتعرض للموقف الفعلى للدراسة ، وبالتالي يستطيع أن
يوجه التلاميذ أو الطلبة توجيهاً تربوياً أو مهنياً يحفظ لهم مستقبلهم التربوى
والمهنى ، فيحقق لهم ولمجتمعهم أفضل النفع ، ويجنبهم أشد الضرر . ولذلك
فعندما تسبق الرغبه فى التنبؤ بالظاهره فهمها وتفسيرها يصبح من الضرورى
لتحقيق التنبؤ أن نبدأ بتحقيق الفهم والتفسير لهذه الظاهرة .

العلاقة بين أهداف العلم :

عرضنا فيما سبق الأهداف الثلاثة الأساسية للعلم بصفه عامه ولعلم النفس بصفه خاصه ، والآن ينبغي أن نناقش العلاقة بين هذه الأهداف الثلاثة . ما من شك أن العلاقة بين هذه الأهداف الثلاثة علاقة شديدة الوثوق ، وهى فى جانب منها تعتبر علاقة فى اتجاه واحد بينما تعتبر من الجانب الآخر علاقه جدلية متبادلة الاتجاهات بين الأهداف الثلاثة .

فمن حيث العلاقة فى الاتجاه الواحد نجد أن العلم ينطلق من فهم ومعرفة أسباب الظاهرة إلى التحكم فيها بناءً على هذا الفهم وتلك المعرفة كما أن العلم ينطلق - أيضاً - من فهم أسباب الظاهرة ومعرفتها - مره أخرى - إلى التنبؤ بها ، ثم أخيراً إلى ضبط ماسوف تكون عليه حتى يتحقق أكبر النفع ويقل الضرر . ومن الواضح أن دقة الضبط ، وكذلك دقة التنبؤ ، سوف تعتمدان على دقة الفهم وصواب التفسير وسلامة المعرفة ، بحيث يخلل الضبط ويفشل التنبؤ بمقدار ما يعيب التفسير والفهم والمعرفة من نقص أو ضعف أو قصور . ومن هنا ، كانت حيلة العالم واهتمامه أن يصل إلى أكبر توفيق فى فهمه وتفسيره لظاهرة وإحاطته بعواملها حتى يضمن تقديم أكبر فائدة لعلمه ومجتمعه .

أما من الجانب الآخر ، فإن هذه العلاقة بين الأهداف الثلاثة تعتبر فى جوهرها علاقة جدلية متبادلة الاتجاهات بين كل منها . فنحن نسلم بأن التحكم والتنبؤ

يعتمدان على مدى دقة الفهم وصواب التفسير وسلامة المعرفة ، لكن ماذا يحدث عندما يتبين للعالم أن التحكم الذى قام به على أساس من فهمه وتفسيره ومعرفته للظاهرة لم يكن تحكماً بمستوى الدقة الذى كان يتوقعه ؟

لا بد له عندئذ من أن يعاود بحث الظاهرة من جديد محاولاً أن يعالج ما أصاب فهمه ومعرفته وتفسيره للظاهرة من ضعف أو قصور حتى تستقيم له المعرفة والفهم والتفسير ويزول ما علق بها من قصور ، وعندئذ يعاود التحكم فى الظاهرة بناءً على معرفته الأصوب بعوامل الظاهرة ومسبباتها ، فإذا بقدرته على التحكم تزداد وتقوى . ويصدق نفس الموقف عندما يفشل التنبؤ بناءً على الفهم السابق للظاهرة وعواملها ، حتى ترتفع دقته فى كل ذلك فتزداد تبعاً لذلك درجة نجاحه فى التنبؤ . هذا ، وفى نفس الوقت سوف نجد أن دقة الضبط ودقة التنبؤ المبنيين على فهم الظاهرة وتفسيرها سوف يعودان علينا بزيادة الثقة فى دقة هذا الفهم وسلامة ذلك التفسير .

وهكذا تستمر العلاقات الجدلية المتبادله بين الأهداف الثلاثة للعلم دافعه العلم نحو مزيد من التقدم والرسوخ ، يستوى فى ذلك علم النفس وغيره من العلوم . هذا ، ونظراً للطبيعة التراكمية للعلم فإننا نجد ان كل عالم يضيف إلى ما أضافه سابقوه _ ليس من علماء بلده فقط بل من كل بلاد العالم ، فالعلم لا وطن له - كما يستفيد من منجزاتهم فى بحثه لظواهره وفى تحقيقه لأهداف علمه ، وبالتالي

يكمل العلماء بعضهم بعضاً ربما حتى فى تحقيق أهداف العلم فى بحث ظاهرة مفردة وبغير هذا لا يطرده تقدم العلم أياً كان هذا العلم ولا تعم فوائد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأهداف الأساسية للعلم - على نحو ما ناقشناها الآن - تؤكد أن العلم والعالم معاً ليس مقطوعى الصلة بالمجتمع ، بل انهما فى خدمته بمثل ما هما نتيجته . فالعالم نادراً ما يبحث بهدف " العلم للعمل " وإنما يبحث أساساً بهدف " العلم للمجتمع " كما أن مشكلات مجتمعه وظروفه وأمانيه هى التى تدفع عمله العلمى وتوجهه وترفعه به ، أو تقاومه وتحاصره وتعوق مسيرته . إذ ليس العلم ظاهرة منعزله ، تنمو بقدرتها الذاتية وتسير بقوة دفعها الخاصه وتخضع لمنطقها الداخلى البحث ، بل إن تفاعل العلم مع المجتمع حقيقة لا ينكرها أحد . فحتى أشد مؤرخى العلم ميلاً إلى التفسير " الفردى " لتطور العلم لا يستطيعون أن ينكرو وجود تأثير متبادل بين العلم وبين أوضاع المجتمع الذى يظهر فيه ، حتى ليكاد يصح القول بأن كل مجتمع ينال من العلم بقدر ما يريد .

معيار تقدم العلم :

إننا إذا ارتضينا الأهداف الثلاثة السابقه بحسبانها الأهداف الأساسيه للعلم فأغلب الظن أننا سوف نرتضى اتخاذها معياراً نقيم على أساسه مدى تقدم العلم ، أو تخلفه . فالعلم الذى لا يستطيع أن ينجح فى تحقيقها مجتمعه بحيث يختلف عن

تحقيق أحدها هو علم مختلف بمقدار تخلفه عن تحقيق هذا ، كما أن العلم الذي يمكنه تحقيق الأهداف الثلاثة مجتمعه ، لكن بمستوى قليل من الدقه فهو أيضاً علم متخلف .

وفى ضوء هذا المعيار ، الذى نضعه لتقدير تقدم العلم أو تخلفه ، نرى أن علم النفس قد حقق تقدماً -لا بأس به - كعلم يمكنه أن يحقق الأهداف الأساسية الثلاثة للعلم مجتمعه ، بدرجة مرضية من الدقه . وهذه الدرجة من الدقه ، وإن لم تصل بعد إلى مستواها فى العلوم الطبيعية المتقدمه ، إلا أن علماء النفس يجاهدون لرفضها أكثر عن طريق محاولاتهم الدؤوبه لتطوير منهجهم فى البحث والتقصى ، وعن طريق الاستعانه بأدوات البحث المتطورة والأساليب الاحصائية المتقدمه . ولما كانت مسأله تقدم علم أو تخلفه ، هى بالدرجه الأولى مسأله نسبيه ، فإن كثيراً من علماء النفس يقتنعون بما وصل إليه علمهم من تقدم خاصة مع ما هو معروف عن التعقد الشديد فى طبيعة ما يدرسونه من ظواهر ، وما هو معروف عن الحدائه النسبية لانسلاخ علمهم عن الفلسفه واستقلاله عنها موضوعاً ومنهجاً ، وهو حيث مضى عليه الآن ما يزيد قليلاً عن قرن من الزمان منذ أن أنشأ " فونت " أول معمل لعلم النفس فى العالم كله ، وكان ذلك بجامعة ليبزج فى ألمانيا عام ١٨٧٩ م .

تطور علم النفس :

شهد القرن التاسع عشر طفولة علم النفس العلمى الحديث ومحاولاته للوقوف على قدميه ، وكان ذلك على يد فونت عام ١٨٧٩م . عندما أنشأ أول معمل تجريبي لعلم النفس فى جامعة ليبزج بألمانيا ، ونهج فونت وتلاميذه فى البدايه منهج الاستبطان أو التأمل الداخلى ، وهو يرى أن للظاهرة النفسية جانباً موضوعياً وجانباً ذاتياً ولا نستطيع الالمام بالظاهرة إذا أهملنا الدراسة الذاتية وتتبع ما يحدث فى العقل من عمليات شعوريه ، وأنه لابد من ملاحظة الفرد لنفسه وحالاتها وما يحدث فيها من عمليات ذهنيه وما يشعر به وما يعثره من انفعال وما يصير عنه ، وتسجيل ذلك أو سرده لملاحظاته ، وثمة نوعان من التأمل الباطنى :

- ١- النوع المباشر : وهو ملاحظة المرء لعملياته وحالاته وقت حدوثها .
- ٢- النوع الاسترجاعى : وهو أن يدع المرء عملياته العقلية تسير سيرها الطبيعى دون توجيهه انتباه مركز ، ثم يحاول تذكرها بوصفها بعد ذلك بمدة قصيره ، ذلك لأن وقوف الفرد لنفسه - فى النوع المباشر - موقف المجرب والملاحظ وتوجيهه انتباهه للظاهرة قد يؤثر عليها أو يغيرها أو يخففها ، ولا سيما فى الانفعال فلا يدعها تسير سيرها الطبيعى وبذلك قد تتطلب السلامه فى التأمل الذاتى أن تأتى الظاهرة عفواً على سجيتها ثم يجئ دور التأمل والملاحظه .

ولم تختلف أمريكا عن ركب المساهمين في تطور علم النفس ، وقد نشر " كاتل " عام ١٨٩٠ م ، مقالاً استخدم فيه الأمر مره في قاموس علم النفس كلمة اختبارات عقلية ، وكان هذا سبباً في تصميم اختبارات متعددة ضمن هذا النوع في أواخر القرن التاسع عشر .

وارتبط علم النفس في الاتحاد السوفيتي بالعالم الفسيولوجي " بافلوف " (١٨٤٩ - ١٩٣٦) ، ومفاهيمه في وظائف الجهاز العصبي وقد أفاد علم النفس بنتائج الانعكاس الشرطي الذي اكتشفه اثناء قيامه بتجاربه على الجهاز الهضمي وتشعبت تجاربه لدراسة التنبيه والكف الشرطيين في الحالات السويه ، أو بعد قطع أجزاء معينه من الدماغ ، وكانت تجاربه كلها بقصد الدراسه الفسيولوجيه ، ولكن النتائج التي أسفرت عنها تجاربه في الاشتراط كانت ذات قيمه في ميادين علم النفس السوي والمرضى واعتبر بافلوف صاحب مدرسة ترابطية تدخل في عداد المدارس السلوكية .

وفي الولايات المتحدة الامريكية ظهرت أبحاث ثورنديك والتي نشرها في كتاب " نكاء الحيوان " وشملت دراسة تجريبية على عمليات الارتباط عند الحيوان ، ومنذ ذلك الحين اثر ثورنديك بشكل مباشر على نظريات التعلم وعلم النفس والتربيه تأثيراً امتد ٤٠ عام والتي قدمها في كتابه " الطبيعه الإنسانية والنظام الاجتماعى " ، الذى نشر عام ١٩٤٠ م .

وكانت طريقة ثورنديك فى البحث تقوم فى الأساس على المشاهدة وحل المشكلات وأجراء تجاربه على الحيوانات ، وخرج ثورنديك بقوانين للتعلم لا يخلو مرجع - لعلم النفس التربوى - منها . وهذه القوانين قانون الاستعداد ، وقانون المران أو التدريب ، وقانون الأثر وكان يعدل من قوانينه كلما تطلب الأمر ذلك نتيجة للتجريب والتتظير .

ثم ظهر فى ألمانيا مجموعة من العلماء أمثال فريتمر (١٨٨٠ - ١٩٤٣) وكوهلر (١٨٦٧ - ١٩٦٧) وكوفكا (١٨٥٦ - ١٩٤٩) ، تهاجم مفهومات فونت واطلقوا على أنفسهم مدرسة الجشطلت ، وقد نشأت فكرة الجشطلت معارضة للبنىة التى استخدمت منهج الاستبطان لتكشف به كيمياء العقل ، ومعارضة فى نفس الوقت للسلوكية التى حاولت جعل علم النفس نظير للعلوم الطبيعية باعتبار أن جوهر العلم هو القياس وأن موضوع علم النفس يجب أن يكون السلوك الظاهر الذى يمكن قياسه والتأكد من ثباته واعتبر الجشطلتيون أن فى هذا تجزئ وتفطيت للسلوك واختزال يحاول رد الكل إلى عناصره الأولىه ، والواجب عند الجشطلت هو أن ندرس كيف يدرك الناس العالم من حولهم وان المجال الادراكى للفرد يتكون من وقائع منظمه وذات معنى ، وهى التى يجب أن تكون موضع دراسة علم النفس وبناء على ذلك فإن القضية الأولى عند الجشطلت هى :

كيف تنمي الكائنات الحية فهمها لبيئتها بما يسمح لها بالتكيف مع هذه البيئة بصورة فعلية ومن ثم ينبغي ألا يكون التعلم مجرد البحث في كيف يرتبط شئ بأخر وكيف تنشأ علاقات ميكانيكية بين المنبهات والاستجابات ، وإنما ينبغي ان يكون : ما هي الشروط اللازمة لتحقيق الفهم الحقيقي لمشكله ما والوصول إلى حلها .. واطلقوا على تلك العمليه اسم الاستبصار .

ومن الاسماء الشهيرة في علم النفس المعاصر هو واطسون(١٨٧٨_١٩٥٨) . وقد اعجب واطسون بأبحاث بافلوف لأنها تقدم اسلوباً موضوعياً لتقويم السلوك دون الاعتماد على التحليل الاستبطاني او العقلي (فونت) ووجد في اعمال بافلوف مخرجاً لعلم النفس في امريكا للانتقال من المنهج العقلي إلى علم أكثر موضوعيه ، وبذلك اطلق صيحته "السلوكيه" ، وهي ذلك الاتجاه الذي يرفض استخدام مصطلحات العقل والوعي والوجدان مفضلاً دراسه الأفعال السلوكيه بصوره مباشره ، واعتبر علم النفس علماً تجريبياً موضوعياً للسلوك . والشخصيه عنده هي مجموعه من الافعال المنعكسه المطوعه اما الانفعالات فهي ناشئة عن الوراثة والخبره . وهو يرى إننا نرث انفعالات الخوف والغضب والحب ومن خلال التطبيع ترتبط هذه الانفعالات الأساسيه الثلاثة بمختلف الاشياء ، كما كان من اشد الناس لتأثير البيئه في السلوك تعصباً.

وفى فرنسا بذل بينيه وزملاؤه علماء النفس سنوات طويله فى بحث قياس الذكاء، وحاولوا الوصول إلى ذلك بمختلف الطرق ، وانتهوا إلى ان افضل طريقه لقياس الذكاء هو ان تقاس العمليات العقلية المعقدة وقد ساعد بينيه على تطبيق افكاره حين طلب منه وزير التربيه الفرنسى تأليف لجنة لعزل الاطفال المتأخرين عقلياً من المدارس الفرنسيه ، ولهذا وضع بينيه مع سيمون أول اختبار للذكاء عام ١٩٠٦ المعروف حالياً بأختبار ستانفورد بينيه للذكاء ومن ذلك الوقت تطور القياس العقلى تطوراً كبيراً كما تطور اختبار بينيه نفسه ولايزال من اهم الاختبارات الفرديه المستخدمه فى قياس الذكاء .

ثم اكتشف علماء النفس أن اختبارات الذكاء التى صممت لقياس استعدادات الافراد العامه لاتقيس فى الواقع كل هذه الاستعدادات ولهذا لم يلبث علماء النفس ان تبينوا أنه لابد من تصميم اختبارات خاصه لقياس القدرات الخاصه، فعملت اختبارات لقياس القدره اللغويه واخرى لقياس القدره الميكانيكيه...إلخ .

وفى الوقت الحالى فإن حركة القياس العقلى وصلت إلى درجه كبيره من الدقة سواء كان ذلك فى قياس الاستعدادات العقلية او قياس التحصيل وتقويمه ، كما اتجه علماء النفس والتربيه إلى استخدام القياس لا لغرض مقارنة الافراد بعضهم

ببعض فحسب ، وإنما لمقارنه الفرد بنفسه أيضاً حتى يمكن مساعدته فى فهم
إمكانياته وتوجيهه نحو الاتجاه الدراسى او المهنى المناسب لهذه الاستعدادات .
ومن العرض السابق نلاحظ أن تركيز علماء النفس تركز فى بيان وفحص
الوظائف النفسيه والشعوريه ، كالادراك الحسى والذاكره والتعليم والتخيل وما إليها
، ثم القدرات بأنواعها وأولها الذكاء ثم الاستعدادات الخاصه وتدبير اساليب
قياسها.

أما التحليل النفسى ، ويقال له ايضاً: علم نفس الاعماق فقد ظهر على يد
سيجموند فرويد (١٨٥٦_١٩٣٩).

فقد ركز فرويد على ثلاث قضايا:

أولاً : منهج للبحث فى العمليات النفسيه اللاشعورية التى تستعصى على أى
منهج آخر .

ثانيا : فن لعلاج امراض النفس يقوم علي منهج البحث المذكور.

ثالثاً : مجموعة من المعارف النفسية يتألف منها نظام علمي جديد بالاضافة
لذلك توصل فرويد إلي نظرية سيكوباتولوجية (علم النفس المرضي) تزود
الطبيب النفسى بتفسير من منطلق سيكولوجي لجميع أمراض النفس والعقل ،
فبعد أن كان الرأي السائد حتى أواخر القرن الماضى لدي الاطباء أن مرضي

العقل انما يتصف تفكيرهم بالهذيان أي بالتخبط علي غير هدي وبلا ضابط او معني يهدفون إليه ، ولذلك بفضل اكتشاف يعتبر من أهم اكتشافات التحليل النفسي وهو منطق الأعراض المرضية النفسية والعقلية ، أي المعاني التي تنطوي عليها أعراض الأمراض النفسية والعقلية .

ولا يقتصر الأمر في التحليل النفسي علي الفهم والعلاج بل أن التشخيص في كثير من الحالات يمتنع علي الطبيب النفسي غير المؤهل في التحليل النفسي ، ويذكر زيور : (٠٠سواء كنا بصدد التشخيص أو العلاج لمرض النفس فلا بد للطبيب النفسي من أن يستخدم المنظور النفسي دائماً بالإضافة إلي المنظور الكيميائي أحياناً أي عندما يكون المنظور الكيميائي صحيحاً علمياً آنذاك لنا أن نقول وبحق أن علم نفس الأعماق بالقياس إلي النفس نظير علم الفسيولوجيا بالقياس إلي الجسم ، فإذا جاز للطبيب النفسي أن يغفل علم الفسيولوجيا جاز له أن يغفل علم نفس الأعماق).

إسهامات العلماء والمفكرين العرب فى تاريخ علم النفس :

ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، ويعتبر ظهوره حدثاً هاماً لما كان له من أثر واضح على أغلب جهات العالم المعروفة وقتئذٍ وبيانتشار الإسلام انتشر معه ما جاء به من آراء ، ومبادئ جديدة ، تلك الآراء والمبادئ التى أسهمت بنصيب كبير فى الفكر الاجتماعى والنفسى بمختلف مجالاته التى وردت فى القرآن ، وفى الأحاديث النبوية ، إذ لم يترك هذان المصدران مجالاً اجتماعياً ونفسياً إلا وكان لهما نصيب كبير منه .

ومن أهم العلماء والمفكرين بين العرب الذين لهم إسهامات كبيرة فى تاريخ علم النفس هم :

١- أبو نصر الفارابى (٨٧٣-٩٥١)

ولد فى مدينة " فاراب " فى إقليم خراسان التركى وتوفى فى دمشق ، وهو من المفكرين المسلمين ، وهو معروف فى تاريخ الفلسفة الإسلامية بالمعلم الثانى بعد أرسطو ، وعرض فى كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة " بعض الفصول الممتعه فى سمات الشخصية التى يقتدى بها زعيم المجتمع أو قائده ، وحديثه كذلك فى عوامل تماسك الجماعه . ففى نظريته فى الزعامة يقرر أن سمات الزعيم بعضها فطرى ، والبعض الآخر مكتسب فيقول " ورئيس المدينة الفاضله لا يمكن أن

يكون أى انسان اتفق عليه لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين ؛ أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معداً لها ، والثانى بالهيئة والملكه الارادية .

وبشير " الفارابى " إلى اثنتى عشر خصلة يجب أن تتوفر فى الرئيس يمكن إيجازها فيما يلى :

- ١- أن يكون تام الأعضاء سليم الجسم .
- ٢- أن يكون جيد الفهم والتصور .
- ٣- أن يكون جيد الحفظ لما يفهم ولما يراه ويسمعه .
- ٤- أن يكون جيد الفطنه ذكياً ، إذا رأى الشئ بأدنى دليل فطن له .
- ٥- أن يكون حسن العبارة يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما يضره إبانة تامة .
- ٦- أن يكون محباً للتعليم والاستفادة .
- ٧- أن يكون معتدلاً فى طلبه للملذات .
- ٨- أن يكون محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله .
- ٩- أن يكون كبير النفس محباً للكرامة .
- ١٠- أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله ، مبغضاً للجور والظلم وأهلها ، يعطى النصف من أهله ومن غيره ، ويحث عليه ويؤتى من حل به الجور مؤثياً لكل ما يراه حسناً وجميلاً .

١١- أن يكون عدلاً غير صعب القيادة ولا جموحاً ولا لجوجاً إذا دعى إلى العدل.

١٢- أن يكون قوى العزيمة على الشئ الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل ، جسوراً عليه مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس .

وفى حاجة الانسان إلى الاجتماع والتعاون يقول الفارابي " وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج فى قوامه ، وفى أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم كل واحد بهذه الحال ، فلذلك لا يمكن أن يكون الانسان ينال الكمال ، الذى لأجله جعلت له الفطره الطبيعية ، إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين ، ويقوم كل واحد ببعض ما يحتاج إليه فى قوام ، وفى أن يبلغ الكمال ، ولهذا كثرت أشخاص الإنسان فحصلوا فى المعمورة من الأرض فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية .

ويتناول الفارابي موضوع تماسك الجماعة فيستعرض الآراء الآتية فى الأسس النفسية الاجتماعية التى يستند إليها هذا التماسك فيقرر :

١- إن قوماً رأوا أن الارتباط هو بتشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشترك فى اللغة واللسان ..."

٢- وآخرون رأوا أن الارتباط هو بالاشترك فى المنزل ...

ويشير الفارابي (بطريقة غير مباشرة) إلى أن السببين السابقين يخصان الجماعات الكبيرة الحجم . أما الجماعات الصغيرة فمن أسس التماسك بين أعضائها :

١- طول التلاقى .

٢- الاشتراك في طعام يؤكل وشراب يشرب .

٣- الاشتراك في شر يدهمهم وخاصة متى كان الشر واحداً ، وتلاقوا فإن بعضهم يكون سلوة بعض .

٤- الاشتراك في لذة ما .

٥- الاشتراك في الأمكنة التي لا يؤمن فيها أن يحتاج كل واحد إلى الآخر مثل التوافق في السفر .

ولقد امتزج تفكير الفارابي بالفلسفة والتصوف ، وخرج به خير الواقع ، ولذا يعتبر بفكره هذا غائياً شأنه شأن أفلاطون وأرسطو ، ويؤخذ عليه أنه تأثر تأثيراً كبيراً بآراء فلاسفة اليونان ، وأنه حاول أن يخرج أو يوفق بين آرائهما وبين الآراء الإسلامية فجانبه الصواب في كثير من هذه المحاولات .

٢- أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٣م)

كان " ابن سينا " حجه فى الطب والرياضة والفلسفة وعلم النفس ، وقد لقب بالشيخ الرئيس ، ولابن سينا مؤلفات تجاوزت المائتين ، وهو يمثل القمة التى وصلت إليها حضارة العرب . وتناول " ابن سينا " فى كتابه " القانون " علم وظائف الأعضاء ، ولكنه لم يستطع أن يخلص علمه من الأمزجة الأربعة ، كما تناول علم الأمراض ، وعلم الصحة ، ومعالجة الأمراض ، وقد ذكر " ابن سينا " فى كتابه القانون أكثر من ١٥٠ نوعاً من الأدوية .

ويظن " ابن سينا " إلى المعنى الدقيق للإحساس فقال فى كتاب " الشفاء " أن الاحساس هو قبول صورة الشئ المحسوس بتجرده عن مادته ، فيتصور بها المحسوسات كلها تتأتى صورها إلى آلات الحس وتتطبع منها فتدركها القوى الحاسة ، وينجح إلى حد كبير فى التفرقة بين الإحساس والإدراك ، فهو يذهب إلى أن إدراك الشئ وهو أن تكون حقيقته متمثلة فهذا المدرك يشاهدها بما يدرك .

٣- ابن خلدون عام (١٣٣٢ - ١٤٠٦م)

هو " عبد الرحمن بن محمد بن خلدون " ولد فى مدينة تونس عام ١٣٣٢ ميلادية وتوفى عام ١٤٠٦ وهو ليس مجرد عالم بارز فى الفقه وعلم الكلام والتفسير ، لكن يتجلى كمفكر استطاع أن يدرك ويعى بعمق أفضل انجازات الثقافة العربية - الاسلامية والفلسفة ، ولقد توفرت له ثقافة فلسفية واسعة واطلع

على مؤلفات الفلاسفة العرب المسلمين ، كما قرأ لمفكرى الفرس واليونان الذين عرفوا فى العالم العربى .

بل يعد ابن خلدون من أكبر أعلام الفكر الفلسفى العربى الاسلامى ، ولقد ارتبط التطور المستمر لمدرسة " ابن رشد " الفلسفية باسم " ابن خلدون " ارتباطاً وثيقاً ، ويعد على رأس الفلاسفة العرب المسلمين فى القرن الثامن الهجرى .

ويعتبر ابن خلدون من رواد الفكر الاجتماعى . وقد عرض فى مقدمته المعروفة " مقدمة ابن خلدون " الكثير من الموضوعات التى تدخل فى إطار كثير من العلوم الحديثة اليوم وعلى الأخص علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى ، والذى أسهم فى كثير من موضوعاته مثل الاجتماع الإنسانى ، والقيادة ، وتأثير البيئة فى طباع البشر والفروق فى الطابع القومى بين الشعوب ، وفى التنشئة الاجتماعىة للطفل .

ويقول ابن خلدون أن الاجماع الإنسانى ضرورى ، ويعبر الحكماء عن ذلك بقولهم " إن الإنسان مدنى بالطبع ، أى لابد له من الاجتماع الذى هو المدينة فى اصطلاحهم ، وهو يعنى العمران ، وبيانه أن الله خلق الإنسان ، وركبه على صورة لاتسير حياتها وبقائها إلا بالغذاء ، وهده إلى السعى من أجله بفطرته ،

وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، إلا أن قدرة واحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ، غير موفيه بمادة حياته منه " .

ويستطرد ابن خلدون في مقدمته في تناول الكثير من موضوعات علم النفس الاجتماعى فيقول عن القيادة " لابد من وازع للناس يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم " .

ولقد كان ابن خلدون يعتقد أن أفضل مواهب وإمكانيات الإنسان يمكن أن تتطور من خلال الدولة كمنظمة سياسية . ويتحدث ابن خلدون عن الفروق فى الطابع القومى للشعوب فيقول " فى فصل أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر لأن أهل الحضر لكثرة مايعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف ، والإقبال على الدنيا ، والعكوف على شهواتهم منها ، وقد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر ، وبعدت طرق الخير ومسالكه .

ويذهب أيضاً إلى أن القسوة والشدة فى معاملة الأطفال تدعوهم إلى المكر والخبث والخديعه ، ويربط بين الفرد والجماعه والرئاسة والدولة فيقول " تستمر الرئاسة ثلاثة أجيال ثم تهدم ، وهذا هو قانون الأجيال الثلاثة ، حداثة وشباب وهم .ويخضع لهذا القانون الضرر ، ورياسة القبيلة ، وملك الدولة ، وللدولة فى

نظر ابن خلدون عمراً طبيعياً لا تتعداه هو عمر الفرد الطبيعي ، وعمر الفرد الطبيعي مائه وعشرين عاماً .

وقبل المحللين النفسيين بمئات السنين اهتدى ابن خلدون لمفهوم التوحد بالمعتدى الذى وصف به المحللون النفسيون العلاقة التى كانت تحدث بين المعتقلين النازيين وبين حراسهم إذا كان الواحد من المعتقلين يتوحد مع شخصية حارسة ، ويوجه الأذى والعدوان لزملائه من المعتقلين مثلما يفعل حارسه ، كما لو كان حال لسانه يقول للحارس " لقد أصبحت أنا وأنت شيئاً واحداً فها أنا أفعل بزملائى مثلما تفعل . ولقد سجل ابن خلدون فى مقدمته هذه الحالة فى فصل تحت عنوان " فى أن المغلوب مولع أبداً بالاقْتداء بالغالب فى شعاره وزيه وسائر أحواله " .

ثم يتحدث ابن خلدون عن الظروف التى يعيش فيها المجتمع ، بعضها بيئية وبعضها اجتماعية وكيف أنها فى طراز الشخصية السائدة فى هذا المجتمع ، وتتخلص هذه الظروف أو العوامل فى أربعة هم :

١- المناخ الجغرافى .

٢- مستوى الخصب أو الفقر فى القطر .

٣- طراز الحكم السائد .

٤- مستوى التطور الاجتماعى الذى بلغه المجتمع .

وله آراء أخرى هى فى الواقع بذور نظرية تقع على الحدود بين علم النفس الاجتماعى وبين التوجيه المهنى ، هذه الآراء تدور حول الصلة بين سمات الشخصية وبين احتمالات النجاح أو الفشل فى مهن معينة ، كما تدور حول مايمكن أن يترتب على ممارسة الشخص لمهن معينة من آثار فى سمات شخصيته .

وأنا لنجد فى مقدمة ابن خلدون المشهورة ملأى بمثل هذه الدراسات التى تدل على وقوع الظواهر الاجتماعية وتكرارها فى اتجاهات معينة ، وعلى خضوعها فى الوقت نفسه لقوانين معينة . وقد عالج بذلك مسائل على جانب عظيم من الأهمية اعتبر بدراستها رائدة لغيره من المفكرين الغربيين الذين درسوها بعده بمئات السنين .

ويمكن أن نمثل لذلك بما كتبه عن " أثر الهواء فى أخلاق البشر " وهو عنوان الفصل الرابع من الباب الأول من مقدمته ، وحيث يرجع خفة السودان وطيشهم وكثرة طربهم وولعهم بالرقص إلى شدة حرارة بلادهم بالإضافة إلى حرارة أرواحهم الراجعة إلى أصل تكوينها ، وهو يلحق بهم أهل البلاد البحرية لأن هواءها متضاعف الحرارة ويدخل مصر فى هذا الإقليم فيقول عن أهلها ... كيف غلب

الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب ، حتى أنهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم ، وعامة مآكلهم من أسواقهم " .

وإذا كان أى علم يحتاج لنشأته : استقلال موضوعه ، وتحديد أغراضه وميادينه ، وبيان منهجه أو طريقته العلمية ، فإن ابن خلدون قد أوضح كل ذلك .

وجميع الباحثين المعاصرين لابداع ابن خلدون متفقين فى أنه تكونت فى فترة حياته القاهرية مجموعه من تلامذته فى مجال التاريخ ، وكان أبرز هؤلاء التلاميذ المؤرخ المعروف " تقى الدين المقرئزى " عام (١٣٦٤ - ١٤٤٢) وهو مؤلف العديد من المؤلفات التاريخية ، وابن الأزرق الجرناتى الذى توفى حوالى (١٤٩٨) والذى نقل الفكر الفلسفى والاجتماعى " لابن خلدون " .

وسواء أكانت آراء " ابن خلدون " صحيحة أو غير صحيحة ، فإن أفكاره ذاتها علمية ، وموضوع أثر الهواء فى أخلاق البشر بحثه وبيحته العلماء فى القرن العشرين أى بعد "ابن خلدون " بأكثر من خمسمائة عام ، والفرق الوحيد بينهم وبينه أنهم يبحثونها بالأجهزة والآلات والرسوم البيانية . ولعل أبرز من قام بمثل هذه الدراسات حديثاً " إلزورت هنتجتون " " Huntington " الذى عالج هذا الموضوع فى أكثر من كتاب كان أحدثها " الحضارة والمناخ " " civilization and culture " والذى حاول فيه أن يربط بين المناخ وبين حضارات الشعوب .

وتلعب الرياضيات دوراً في حياة الأطفال ، ويذكر ابن خلدون أن من احسن طرق التعليم أنه يبدأ بالقواعد الحسابية لأنها معارف واضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الطفل عقل درب على الصواب ومن أخذ نفسه بعلم الحساب يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المعاني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقاً ويتعود الصدق كذلك فالرياضيات تدرب العقل على التفكير السليم .

٤- "الغزالي"

هو " أبو حامد محمد بن محمد الغزالي " ولد " بطوس " من إقليم خراسان . وقد بلغت مؤلفاته المعروفه في فروع الدين والفلسفة سبعة وأربعين ، وقد عالج " الغزالي " في الكثير من كتبه موضوعات نراها في يومنا هذا داخله في نطاق علم النفس " Psychology " ، وعلم الاجتماع " Sociology " ، وعلم النفس الاجتماعي " Social Psychology " ومن هذه الموضوعات العلاقة بين النفس والجسم والسواء " Normal " ، واللاسواء " Abnormal " والاجتماع الانساني ، والنمو، والتنشئة الاجتماعية .

وبالنسبة لعلاقة النفس بالجسم يقول : " الغزالي " في هذا الموضوع أن النفس شئ والبدن شئ آخر ، وليست الصلة بينهما تلازم أي إذا نفع الجسم فنيت النفس . وعن مفهوم السواء يقول : " أن الخلق عبارة عن هيئة النفس تصدر عنها

الأفعال بسهولة ، وليس من غير حاجه إلى فكر ورؤية ، فإن صدر عن هيئة النفس الأفعال الحسنة الجميلة المحموده فعلا وشر ماسميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً ، فمعيار القبح والحسن في نظر " الغزالي " العقل والشرع .

وقد تحدث " الإمام أبو حامد الغزالي " عن مطالب النمو في مرحلة الطفوله ومما يقوله في هذا المجال : بيان الطريق في رياضه الصبيان في اوجه نشوئهم و درجة تأديبهم : اعلم ان طريق رياضة الصبيان من أهم الأمور وأؤكدها ، والصبي أمانه عند والديه وقلبه الظاهر جوهرة نفسيه ساذجه ، خاليه من كل نقش وصوره - وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فإن ماعود الخير وعلم نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخره ، وشاركه في ثوابه أبوه و كل معلم ومؤدب .

ويقرر في مجال تنمية الاتجاهات : يجب على الأب أن يجيب إليه (اي إلى ولده) من الثياب الأبيض دون الملون ، ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين ، ويبعده عن الصبيه الذين يسمعونه ما لم يجب من أمور غير مرغوبه اجتماعياً" .

ويتكلم الغزالي عن الحكم الطبيعي في نمو الإنسان ، فيصبح من كلامه أن استعداد الانسان في المراحل الأوليه من حياته يتركز في التمتع بما يسر شهواته البدنية ، لكن هذه الملذات ترتقى مع نمو الإنسان ، ومع تطور أعضائه ، واكتسابه للتجارب الجديدة إلى أن تبلغ المرحلة التالية الأعلى وهي مرحلة حب الرياسة ، وما شابهها من الصفات ، أما المرحلة النهائية في نموه فتتمثل في تلك التي يكون العلم والحكمة فيما أرفع الملذات و أسماها . و يقسم " الغزالي " الشخصيات الإنسانية " Human personalities " إلى أربعة أنواع حسب النمو السابق . فهناك الناس الذين لا يحبون إلا الله تعالى ، وهم دائماً وراء زيادة المعرفة به والفكر فيه ، وهناك أناس لا يعرفون لذة المعرفة ولا حب الله ، ويسعون للجاه والرياسة ، والشهوات البدنية ، وهناك أناس وسط أيضاً ، لكنهم يميلون أكثر إلى الصفات البشرية . ويقرب " الغزالي " في نظره للشخصية الإنسانية من نظرة الذين يقسمون الشخصية إلى أنماط " Types " : كالنمط المنطوي ، والنمط المنبسط .

ولقد اهتم " الغزالي " بالنتشئة الاجتماعية في كتابه " إحياء علوم الدين " فنصح بمراعاة الاعتدال في تأديب الصبي ، وإبعاده عن أصحاب السوء وعدم التساهل معه في المعاملة ، كذلك عدم تدليله .

كما نصح الغزالي بشغل أوقات فراغ الصبي بالقراءة وأحاديث البلاد وأخبارها ،
وبقراءة القرآن الكريم ، كما اهتم أيضاً بتقديم النصح للآباء بأن يهتموا بلعب
الأطفال ، لما تؤديه من تراوض وتنمية لجسم الصغير ، ولما ينتج عنها من
إدخال البهجه والسرور فى نفوسهم بعد عناء القراءة ، ويحصن الآباء بتخويف
أبنائهم السرقة وأعمال الحرام .

كما يبرز هذا العالم المسلم عوامل انجراف السلوك الإنساني ، ويؤكد على أهمية
المثل والقيم والمعايير التى تنميها العلاقة بين الآباء والأبناء .

٥- الإمام محمد عبده عام (١٨٤٩ - ١٩٠٥):

تعلم القراءة والكتابة فى منزل والده ، ثم انتقل إلى دار حافظ القرآن ، وأتم حفظ
القرآن فى مدة سنتين ، ثم حمله والده إلى مدينة " طنطا " لتجويد القرآن فى
المسجد الأحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد ، وكان ذلك فى عام (١٢٧٩ هجرية
) وتتلذذ على يد " جمال الدين الأفغانى " وتلقى عنده بعض العلوم الرياضية
والحكمية واطلع فيه ، وعندما دخل الأزهر الشريف كانت العلوم الشرعية مقصورة
على الفقه والأصول والتوحيد والحديث و التفسير ، أما العلوم الغربية فهى النمو
والتصرف والمعاني والبيان والمنطق ، ومن أهم مؤلفاته : " تفسير المنار " ،
ورسالة التوحيد " ، و " الإسلام والنصرانية " و " شرح نهج البلاغة " .

ويعتبر الإمام محمد عبده من المفكرين الاجتماعيين والذي تناولت أعماله الكثير من الموضوعات التي تدخل اليوم فى القرن العشرين تحت نطاق علم النفس الاجتماعى مثل : تماسك الجماعه ، وعلاقة النواحي النفسية بالاقتصاد والاتجاهات " Attitudes " ، والطابع الاجتماعى .

ويظن محمد عبده إلى ما للاقتصاد من علاقة بالنواحي النفسية فيقول : " الإقتصاد فضيلة من فضائل الإنسانية الجليلة " . وهو كغيره من الفضائل مركب من أمرين " بذل وإمساك " . ويعنى أن الإقتصاد هو التوسط فى الإنفاق ، فأما بالنسبة للأمر التالى وهو الإمساك فنجد أن الفرد وإن كثر ماله ، وغزرت مادته لا ينال منها شيئاً ، وترتعد يد الواحد منهم عندما يقترب من الوعاء والمحتوى على النقود ، واهتم بعلاقة العوامل الاقتصادية بالنواحي النفسية والاجتماعية مثل : علاقة الفرد بنفسه ، وعلاقته بالآخرين ، وعلاقته بالنواحي الاقتصادية ، وبعملية التربية ، والتنشئة الاجتماعية ، واكتساب الفضائل .

وأشار "محمد عبده" ألي أن الفرد له أتجاهان اتجاه لفظي ، واتجاه عملي قد يتعارضان ، وهكذا ما تقرره الدراسات الحديثة اليوم .

الفصل الثانی

فروع علم النفس ومدارسه

محتويات الفصل :

الفروع النظرية

الفروع التطبيقية

مدارس علم النفس

فروع علم النفس :

علم النفس - شأن كثير غيره من العلوم - له فروع عدة ؛ تغلب على بعضها النزعة النظرية ، بينما تغلب على البعض الآخر النزعة التطبيقية ، وإن كانت النزعتان لا تتفصلان فى الواقع إلا نادراً ، ويكاد التقسيم يكون لتبسيط الدراسة وتيسيرها ، ولخدمة التعمق والتخصص أكثر من كونه تقسيماً حاداً قاطعاً . ولذا سوف نجد كثيراً من الموضوعات والظواهر المشتركة بين أكثر من فرع من هذه الفروع ؛ كما أننا - أيضاً سوف نجد أن كلاً منها يستفيد من الآخر ومن تقدم المعرفة فيه .

أولاً : الفروع النظرية :

لعل من أهم فروع علم النفس النظرية الفروع التالية :

١) علم النفس العام " General psychology "

ويعتبر الأساس النظرى لكل فروع علم النفس الأخرى سواء أكان يغلب عليها الطابع النظرى أم الطابع التطبيقى . فعلم النفس العام يهتم أصلاً بدراسة المبادئ العلمية التى تكمن وراء سلوك الناس عامة ، من غير تركيز على فئة خاصة منهم دون الأخرى . كما أنه يدرس الظواهر النفسية الشائعة بين كافة الناس ؛

كالدوافع النفسية ، والقدرات العقلية ، والذكاء ، والالتزان النفسى ، والشخصية ،
والنمو النفسى ..

وباختصار شديد ، فإن علم النفس العام يهتم بدراسة مبادئ علم النفس وأسسه
وأصوله العامه ، التى ينظر إليها على أنها الأصول الأولية والمعلومات
الأساسية فى علم النفس ، والتى تمثل أهمية كبيرة فى العلم وتتخذ منطلقاً لدراسة
ظواهره وموضوعاته المختلفة.

ومن الجدير بالذكر أن القسم الأول من جمعية علم النفس الأمريكية مخصص
لعلم النفس العام ، ويحمل اسمه للاعتبارات السابقة – التى قلناها فى تعريف هذا
الفرع وفى بيان موضوعه واهدافه . كما أن هذا الفرع من علم النفس تعترف به
كافه جمعيات علم النفس واقسامه الجامعيه فى العالم ، حتى إنه إذا اقتضت
الضروره تدريس فرع واحد فقط من فروع علم النفس فى معهد علمى ، أو قسم
جامعى من أقسام الدراسة ، كان هذا الفرع هو "علم النفس العام" فى غالب
الاحوال . وقد يدرس (أو يؤلف فيه) تحت عناوين اخرى : " اصول علم النفس
"أو" أسس علم النفس " أو " مبادئ علم النفس " .

(٢) علم النفس الارتقائي: "developmental psychology"

فرع يهتم بدراسة كيفية النمو النفسى و مراحلہ التي يمر بها الفرد ، وخصائص كل مرحلہ ، ووصف السلوك الشائع فيها ، ومواصفات وارتقاء العمليات الذهنيه والانتفاليه والاجتماعيه واكتساب المعرفه واللغه ... فى كل من هذه المراحل.

ويدرس هذا الفرع عادة فئات عمريه مختلفه ، او يتتبع مجموعات من الافراد يعاود دراسة كل منها بين الحين والآخر لتحقيق هدفه من فهم كيفية النمو النفسى وارتقاء الفرد عبر تاريخه منذ ولادته ، وربما قبلها إلى وصوله مرحلہ الرشد والاكتمال.

وغالباً ما يقسم هذا الفرع تقسيماً داخلياً إلى: سيكولوجية الطفوله ، سيكولوجية المراهقه ، سيكولوجية الرشد ، سيكولوجية الكبار...ومن الجدير بالذكر أن هذا الفرع تخصص له جمعية علم النفس الأمريكيه القسم السابع منها.

٣- علم النفس الإجماعى "social psychology"

فرع من علم النفس يركز على دراسة العوامل السيكولوجية وراء تكوين الجماعات ونموها وقوتها وتماسكها وارتقاء روحها المعنوية ، أو تدهور كل ذلك . مع الاهتمام - أيضاً- بدراسة العلاقات الاجتماعيه والإنسانيه والنفسية المتبادله بين اعضاء الجماعة بعضهم البعض ، وما يفرزه ذلك من قيادات ،

وسيطرة أو خضوع ، وتوحد أو نفور بين أعضاء الجماعه ، والتأثير الذى تمارسه الجماعه على أعضائها ، وذلك الذى يمارسه العضو أيضاً - على الجماعه ، وأثر كل ذلك - تفصيلاً على نجاح الجماعه فى تحقيق أهدافها أو فشلها فى ذلك .

كما يهتم علم النفس الاجتماعى - أيضاً - بالدراسة السيكولوجيه لمختلف الظواهر الاجتماعيه والنفسية التى تنشأ عن وجود الجماعه وتفاعلاتها وتكويناتها وعضوياتها واحتكاكات أعضائها وعلاقتهم بعضهم البعض ؛ كالتعاون والتنافس والقيم والمعايير الخاصه بالجماعه ..

" وبمعنى آخر ، نجد أن علم النفس الاجتماعى عباره عن الدراسه العلميه لسلوك الكائن الحى ككائن اجتماعى ؛ أى يعيش فى مجتمع مع أقرانه ، يتفاعل معهم فيتأثر بهم ويؤثر فى سلوكهم ؛ أى أن علم النفس الاجتماعى كفرع من فروع علم النفس يعرض لدراسة الفرد فى إطار المجتمع . ويتناول علم النفس الاجتماعى بالوصف والتجريب والتحليل والفهم خبرات وسلوك الفرد فى تفاعله مع الآخرين فى المواقف الاجتماعيه أو المجال الاجتماعى " .

وهكذا ، فإننا نجد من الموضوعات الرئيسيه الهامه التى يدرسها علم النفس الاجتماعى موضوعات ؛ مثل : ديناميات الجماعه ، والقياده والروح المعنويه ،

والتعاون ، والتنافس والتمركز حول الذات فى مقابل التمركز حول الجماعه ،
وقرار الجماعه ، والشائعات ، والدعاية ، والاتجاهات ، والرأى العام ..

ومن الجدير بالذكر أن جمعية علم النفس الأمريكية قد خصت قسمها الثامن
لعلم النفس الاجتماعى والشخصية .

٤ - علم النفس المرضى " psychopathology "

ويهتم هذ الفرع من علم النفس بدراسة أنواع الاضطرابات والأمراض النفسية
والعقلية وأعراضها المميزه وتشخيصها ، وبيان أسبابها وعللها ، وعوامل تكوينها
وتطورها ، ومختلف الظروف المؤثره فيها- فهو على سبيل المثال - يدرس
الظواهر العصبية والذهانية ، والانحرافات السلوكية ، والأمراض السيكوسوماتيه ،
وجرائم الكبار وانحرافات الأحداث ، والسيكوباتية بأشكالها المختلفه ، كل ذلك
بهدف بيان أعراضها ومسبباتها ودينامياتها وتطورها .

٥ - علم النفس الفسيولوجى " physiological psychology "

ويركز على دراسة الأساس الفسيولوجى الجسمى للسلوك الانسانى وعلى علاقة
الجسم بسلوك الانسان .وبالتالى ، فهو يهتم بدراسة الجهاز العصبى ووظائفه
وتأثيرها على السلوك والشخصية . كما يدرس الغدد الصماء والعوامل

الفسولوجيه وراء بعض الأمراض النفسية كما يدرس - أيضاً - النواحي

الفسولوجية فى الانفعالات المصاحبه للدوافع ومختلف النشاطات السلوكية ..

ومن الجدير بالذكر أنه " ترجع البداية الحديثة لعلم النفس الفسيولوجى بوصفه

دراسة علاقة السلوك المتكامل بالوظائف البدنية المتنوعه ، إلى العالم النفسى

الشهير فونت ، فهو الذى أطلق هذا الاسم على ذلك الفرع من الدراسة عندما

أسس معمله السيكولوجى فى ليبزج عام ١٨٧٩ م " .

ومن الجدير بالذكر أن نضيف إلى النص السابق أن فونت لم يكن مجرد عالم

نفس شهير فقط بل كان - فى الأصل - طبيباً ثم تحول إلى فسيولوجى ، وقد

ظل لمدة ثلاثة عشر عاماً مساعداً فى معهد هلمولتز للفسيولوجيا ثم أستاذاً به

فى هيدلبرج . ثم تحول بعد ذلك من فسيولوجى إلى سيكولوجى ، وقبل انشائه

المعمل وأثناءه رأس قسم الفلسفة بجامعة ليبزج .

وعلى أى حال ، فإن علم النفس الفسيولوجى من الفروع التى تحتاج إلى

تخصص أساسى فى الطب أولاً قبل التخصص فيه ، ويضمه القسم السادس من

جمعية علم النفس الأمريكيه .

ثانياً : الفروع التطبيقية :

أما الفروع التطبيقية فى علم النفس فلعل من أهمها :

١- علم النفس التربوى " Educational psychology "

ويهتم هذا الفرع من علم النفس بتطبيق مبادئ علم النفس ونظرياته ومناهج البحث الخاصه به فى مجال التربية والتدريس والتعليم والتدريب وما يظهر فيه من مشكلات وظواهر فى حاجه إلى دراسة أو علاج أو حلول . ويهدف هذا الفرع من كل هذا إلى رفع كفاية العملية التربوية أو التعليمية وجعلها أكثر عائداً وأقل تكلفه وأفضل نجاحاً .

ولذا ، فإن علم النفس التربوى يعطى عناية خاصة لدراسة موضوعات مثل النمو العقلى والنفسى ومراحله ، ومشكلات الطفوله والمراهقه ، وظاهرة التعلم وشروطها وعلاقتها بالذكاء والقدرات العقلية المختلفه ، ونظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية ، وظاهرة التفوق الدراسى ، وظاهرة التخلف الدراسى ، وظاهرة التفكير ، وظاهرة التذكر والنسيان ونظرياتها وعواملها ..هذا ، ويحتل هذا الفرع من علم النفس القسم الخامس عشر من أقسام جمعية علم النفس الأمريكية .

٢- علم النفس العسكرى " Military psychology "

فرع هام من فروع علم النفس التطبيقية ، يهتم بكل تطبيقات علم النفس فى القوات المسلحة وفى الدفاع العسكرى والمعنوى عن تراب الوطن ، وأيضاً بتطبيقات علم النفس فى القوات العسكرية وإدارتها وتحريكها ورفع روحها المعنوية والقتالية عند الهجوم والاقترام والغزو . كما يهتم علم النفس العسكرى - أيضاً - بالأسس النفسية التى تعمل على رفع الروح المعنوية للشعب أثناء المعارك وتعبئته للقتال وللتضحية...

وعلى هذا ، فإن علم النفس العسكرى يهتم بموضوعات ؛ مثل : الأسس التى تعمل على رفع الكفاية التدريبية للجنود والضباط ، والأسس النفسية التى ترفع من الروح المعنوية والقتالية بين الجنود والضباط ، والدعاية السياسية ، والشائعات ، والثقة فى عدالة القضية التى يدافع عنها الوطن ، ورفع درجة الالتهام والتماسك والثقة بين الشعب والجيش والقيادات السياسية ...

وتخصص جمعية علم النفس الامريكية قسمها التاسع عشر لهذا الفرع من علم النفس.

٣- علم النفس الصناعي والتنظيمي " Industrial and organizational psychology

هذا الفرع التطبيقي من علم النفس تخصص له جمعية علم النفس الأمريكية قسمها الرابع عشر . وقد كان هذا الفرع يطلق عليه من قبل " علم النفس الصناعي " ، ونتيجة للتوسع في موضوعاته عدل إلي هذه التسمية الحديثة . ويستهدف هذا الفرع دراسة المشكلات ذات الطبيعة النفسية التي تنشأ في مجال العمل ومنظّماته بواسطة المنهج العلمي المستخدم في البحوث النفسية ، واقتراح الحلول لهذه المشكلات . كما يستهدف -أيضاً- تطبيق النظريات والمعلومات النفسية لفهم هذه المشكلات وحلها . ومن أمثلة هذه المشكلات : انخفاض الروح المعنوية للعاملين ، وضعف الإنتاج كماً وكيفاً وكثرة غياب العاملين ، وكثرة إصابات العمل ، وكثرة المشاحنات والخلافات بين العاملين بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين الإدارة . . .

والهدف النهائي لعلم النفس الصناعي والتنظيمي - في مثل مجتمعاتنا - هو زيادة الإنتاج كماً وكيفاً، وتحقيق الراحة النفسية والجسمية للعاملين ، والارتفاع بمستوي الكفاية الإنتاجية للعامل ولمؤسسة العمل علي السواء .

٤- علم النفس السياسي : " political psychology "

فرع من علم النفس يهتم بتطبيق مبادئ علم النفس وأسس ومقولاته ونظرياته ومناهجه في البحث وطرقه ؛ لدراسة المشكلات السياسية والقضايا المختلفة بين الدولة (أو الدول) وغيرها ، للوصول إلي أفضل الحلول وأنجحها وأفيدها . فهو يهتم - علي سبيل المثال - بدراسة أفضل سبل تحقيق السلام بين الأعداء ، أو نشر السلام ومقاومة الحروب ومنع التورط فيها ، وسيكولوجية التفاوض ، وأفضل أساليب الحوار بين الأطراف المتصارعة وأجداها ، أنسب السبل لإقناع الخصم بوجهة النظر ، ووسائل كسب الرأي العام الداخلي والدولي بعدالة قضايانا السياسية ، وكيفية تغيير اتجاهات الخصم أو الرأي العام لزعزحته عن موقفه إلي الموقف الذي ندعو له أو نطالب به ، بحيث يصبح مقتنعاً بعدالة قضيتنا ... إن علم النفس السياسي هو - بإختصار - استغلال الأسس النفسية لدراسة وفهم و علاج الظواهر و القضايا السياسية على نحو ما نعترف بها و نحددها .

ولم يتبلور بعد هذا الفرع بما فيه الكفايه ، إلا ان اخطار الحروب او التهديد بها فى كل مكان من العالم كفيل بالإسراع فى دعم هذا الفرع والاعتراف به ، وإن كانت هناك بحوث كثيره بدأت تنشر فى مجاله . كما ان له مجله تحمل عنوانه ، تصدر فى نيويورك من أواخر سبعينيات القرن العشرين .

ومن الجدير بالذكر؛ ان مجلة الجمعية الدولية لعلم النفس التطبيقي والمسماه "علم النفس التطبيقي" قد خصصت أساساً عددها الأول من مجلداتها السابع والاربعين ، والصادر في يناير ١٩٩٨ لعلم النفس السياسى . ومن بعض مقالاتها فى هذا العدد : علم النفس السياسى كعلم نفس تطبيقي . وإسهامات علم النفس الاجتماعى فى صنع السلام و بنائه فى الشرق الاوسط . هذا مع العلم بأن هناك قسماً من جمعية علم النفس الامريكية افتتح عام ١٩٩٠ بأسم "علم نفس السلام" (القسم رقم ٤٨) ، مما يمكن اعتبار تخصصه ضمن موضوعات تخصص " علم النفس السياسى " لكنها لا تغطى تخصصه كله ، بل تعتبر مجرد جزء من كل ، وإن كان أهم أجزاء هذا الكل واكبرها .

٥) علم النفس الجنائي : " criminal psychology "

فرع من علم النفس يهتم بدراسة العوامل السيكولوجيه وراء جرائم الكبار و انحراف الاحداث ، و مدى جدوى العقوبه وعدالتها فى الفعل الجنائى المرتكب ، سواء كانت الجريمة من الراشدين أو من الاطفال. و ما هى القيمه الوظيفيه للعقوبه بصفه عامه؟! هل هى للاصلاح أم للردع أم للقصاص.

وهل وظيفة العقوبة هى التأثير على مرتكب الجرم ، أم لردع من تسول له نفسه الإقدام عليه فتصبح بذلك وظيفه هامه للمجتمع ... كما يهتم علم النفس

الجنائى بسيكولوجية المجرم وشخصيته ومدى مسؤليته عن جريمته ووعيه بها .. وهل هو فى حاجه إلى عقاب يردعه عن تكرار جريمته ، ام إلى علاج يشفيه من دوافعه الإجراميه ويحصنه ضد تكرار وقوعه فيها ... ومما يجدر ذكره ان القانون الجنائى لا يدين " المجنون " عن جرمه إذا ثبت خلله العقلى ، بل يحكم عليه بالإيداع بالمستشفى أو المصحه حتى يتم شفاؤه فيخلى سبيله و يفرج عنه .

ولقد خصصت جمعية النفس الأمريكية قسمها الحادى و الأربعين لهذا الفرع من علم النفس تحت اسم " علم النفس و القانون " .

٦) علم النفس الإكلينيكى " clinical psychology "

فرع تطبيقى من علم النفس يركز - بصفة خاصة - على المرضى والمضطربين والمنحرفين بهدف تشخيص مرضهم أو اضطرابهم أو انحرافهم وممارسة العلاج لهم بأى طريقة أو منهج من طرق العلاج النفسى وأساليبه المختلفه . ومع التشخيص والعلاج وأثناءهما يضع الأخصائى الاكلينيكى تنبؤات لمسار المرض أو الاضطراب ، وإحدى وسائل علاجه ، ومدى احتمالات الشفاء منه ، ووفق هذا كله يقوم بالاستمرار فى نوع العلاج الذى يمارسه أو تغييره أو تعديله أو

الاستعانة بغيره ممن تخصص في أسلوب آخر من أساليب العلاج يرى أنه أكثر جدوى للحالة التي يعالجها .

وكثيراً ما يكون اخصائى علم النفس الاكلينيكي عضواً في فريق إكلينيكي متكامل " clinical team " يشتمل أساساً على طبيب نفسى ، و اخصائى نفسى إكلينيكي ، وأخصائى اجتماعى اكلينيكي ، حيث يشارك كل عضو من أعضاء هذا الفريق في تشخيص وعلاج المريض أو المضطرب والقيام بعمليات التنبؤ اللازمة لتطور المرض ومساره ، كل حسب تخصصه ، ويجتمعون في لقاءات دورية يناقشون فيها أساليب العلاج ، ومدى جدواه ، ومدى الحاجة إلى استمرارها أو تغييرها أو الاكتفاء بإدخال بعض التعديلات عليها ...

ولعله من الواضح هنا أن علم النفس الإكلينيكي - كفرع تطبيقي - يعتمد كل الاعتماد على الأسس العلمية التي يمدده بها الفرع النظرى - السابق حديثنا عنه - وهو " علم النفس المرضى " هذا ، وتفرّد جمعية علم النفس الأمريكية القسم الثانى عشر منها لهذا الفرع من علم النفس .

٧- علم النفس الارشادى " counseling psychology "

فرع تطبيقي من علم النفس ، خصصت له جمعية علم النفس الأمريكية قسمها السابع عشر ، ويهتم بتشخيص وعلاج المشكلات والاضطرابات السلوكية

السطحية ، والتي ليست ذات جذور ضاربه فى أعماق الشخصية بحيث لايجدى معها إلا العلاج النفسى . فالإرشاد النفسى هو علاج نفسى سطحى لمشكلات السلوك والحياه اليومية ، وكأنه إرشاد وتوجيه للفرد حتى يسوس مشاكله ويتعامل معها بحكمة وكياسة . ومن هنا ، فالإرشاد النفسى - فى أساسه - عملية مساندة للفرد وتوجيهه لاتباع أفضل الأساليب لعلاج مشكلاته ، مع مساعدته على التبصر بها وبعواملها ودينامياتها حتى يصبح أكثر فهماً لها ، وبالتالي تحكماً فيها وسيطرة عليها .فاذا ما فشل الإرشاد النفسى فى علاج مشكلة الفرد ، كان عليه أن يتحول إلى إخصائى فى العلاج النفسى يتناول حالته بمستوى أعمق من التشخيص والعلاج ؛ أي وجب عليه أن يتحول إلى اخصائى نفسى إكلينيكي يتابع علاجه .

علي أن الإرشاد النفسى لا تقتصر مهمته علي علاج المشكلات السلوكية فقط ، بل إنه يهتم - أيضاً- بمساعدة الفرد على إكتشاف قدراته ومواهبه ونقاط القوة والضعف فيه ،حتى يستفيد من كل ذلك فى التعرف على نوع الدراسة أو المهنة التى يتفوق فيها ويتوافق ، ويحقق فيها ذاته وطموحاته بنجاح واقتدار .

٨- التحليل النفسي: "psychoanalysis"

فرع من فروع علم النفس يغلب عليه الجانب التطبيقي ، حيث يهتم بدراسة الظواهر السلوكية والاجتماعية والحضارية وفق منهج التحليل النفسي ونظريته ، واللذين أقامهما فرويد مما يزيد علي مائة عام . ولذا يعتبر التحليل النفسي من أقدم فروع علم النفس . وقد أفردت له جمعية علم النفس الأمريكية قسمها التاسع والثلاثين .

ولعل أشهر ما يعرف به التحليل النفسي كونه طريقة خاصة من طرق العلاج النفسي للأمراض النفسية والاضطرابات السلوكية ، تمتاز عن سائر الطرق الأخرى بعمق تناولها لشخصية المريض أو المضطرب ، ويشمول هذا تناول ، وبتتبع مسار المرض أو الاضطراب وصولاً إلي أعماق أصوله وعواملها وأبعدها تاريخاً في شخصية المريض .

يصاحب كل ذلك الكشف عن ديناميات المرض وتطور أعراضه ووظائف كل منها والأخذ بيد المريض حتى يصل هو نفسه إلى كل ذلك ، بحيث تملؤه القناعة بكل مايكشف أثناء تحليله النفسي . ويساعد المحلل المريض على الانتقال من مرحلة المعرفة إلى مرحلة الشفاء وفق قاعدة " إذا عرفت استطعت " ، حيث يأخذ بيده نحو تبنى السلوك الأمثل والأصح وترك السلوك الأعوج المريض الذي كان

يتشبت به قبل التحليل ، فإذا بالشفاء يواتية والصحة النفسية تعاوده تلقائياً عند المراحل النهائية من علاجه .

٩- علم النفس العائلي " family psychology "

هذا فرع من علم النفس حديث تماماً ، حيث لم تفرد له جمعية علم النفس الأمريكية قسماً من أقسامها إلا حديثاً ؛ حيث إن نشرة الجمعية عام ١٩٨٢ م لم يكن بها هذا القسم . أما الآن فهو يحتل القسم الثالث والأربعين منها . وهو فرع نظري تطبيقي فى الآن نفسه . وإن كان يغلب عليه الجانب التطبيقي . فهذا الفرع يهتم بدراسة العلاقات النفسية بين الزوج والزوجه ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الأمهات والأبناء مع دراسة تطور كل هذه العلاقات ومراحلها وارتقائها .

كما أنه يدرس الوظائف السيكلوجية للعائلة كمؤسسة اجتماعية ، مع وضع التوصيات التطبيقية التى ترتقى بمستوى أداء الأسرة لهذه الوظائف النفسية ؛ كترية النشاء الخالى من الاضطرابات النفسية ، وتنمية الاحساس بالأمان النفسى بين أعضاء الأسرة مع الحفاظ على دفاء علاقات المودة والحب المتبادل ... وفى نفس الوقت يمارس اخصائى علم نفس العائلة ، عن طريق عيادات العلاج النفسى للعائلة ، واجباته العلاجية والإرشادية عندما تختل علاقات أى عضو فى الأسرة بعضو آخر فيها أو بأكثر .

ومن نافلة القول أن نذكر أن علم نفس العائلة يستفيد كثيراً من المبادئ
السيكولوجية فى كثير من فروع علم النفس ؛ كالتحليل النفسى والصحة النفسية
والإرشاد النفسى وعلم النفس الإكلينيكى ...إلخ .

١٠ - علم النفس الرياضى " Exercise and sport psychology "

يعتبر هذا الفرع من أحدث فروع علم النفس ، حيث أفردت له جمعية علم النفس
الأمريكية قسماً خاصاً به هو القسم السابع والأربعون . ويهتم هذا الفرع بدراسة
العوامل السيكولوجية وتطبيق المعلومات والنظريات النفسية فى مجال الأنشطة
الرياضية المختلفة مع استخدام منهج البحث النفسى فى دراسة أية مشكله أو
ظاهرة تستحق الدراسة فى هذا المجال . ويهدف علم النفس الرياضى ، من وراء
كل هذا ، إلى فهم العوامل السيكولوجية اللازمة للأداء الكفاء للنشاط الرياضى
المعين ، سواء أكان لعب كرة أم تنس أم سباحه أم مصارعة ...إلخ .

وعلى هذا ، فهو يهتم بدراسة تأثير وأهمية فاعلية الظواهر النفسية المختلفة ؛
كالإيحاء ، والانتباه ، والادراك ، وأثر الهالة ، والمثابرة ، والتدريب ، والمهارات
الحسية الحركية ...على فوز اللاعب أو الفريق ، أو على هزيمتهما .

١١- علم النفس الصيدلى " Psychopharmacology "

فرع يهتم ببحث ودراسة أثر العقاقير والأدوية على الحالة النفسية للفرد ،
واستخداماتها لعلاج الأعراض النفسية المرضية ؛ كأعراض الاكتئاب أو الهوس
أو الفصام أو القلق ... أو الادمان ... مع اكتشاف الجديد منها والذي يحقق هذه
الأهداف . وواضح أن التخصص فى هذا الفرع من علم النفس يحتاج إلى
تخصص مسبق فى الطب أو الصيدله ، حيث يأتى التخصص النفسى تالياً
لأيهما ومتكاملاً معه .

ومن الجدير بالذكر أن جمعية علم النفس الأمريكية قد أفردت القسم الثامن
والعشرين منها لهذا الفرع من علم النفس .

١٣- علم النفس البيئى " Environmental psychology "

فرع تطبيقى من علم النفس يركز على دراسة مدى تأثير مختلف الظروف
الطبيعية والبيئية التى تحيط بالانسان على صحته النفسية ، وأجهزته العقلية
والعصبية ، وحالته الإنفعالية ، وكفايته الإنتاجية ، ومختلف أنشطته الحياتية ،
وذلك لفهمها ومعرفتها ، واكتشاف أفضل الأساليب لعلاج آثارها السلبية ،
ومقاومة تأثيراتها الضارة ، وحماية الإنسان من أخطارها . مع تطبيق (أو النصح
بتطبيق) أنجح الوسائل وأفضل الاجراءات لتقليل أخطار البيئه النفسية ،

ومقاومة آثارها السلبية ، وعلاج ماقد يصيب الأفراد والمجتمعات والانتاج من أضرارها الخطيرة . ونظراً لأهمية هذا الفرع من علم النفس ، فقد أفردت له جمعية علم النفس الأمريكية قسماً خاصاً (هو القسم رقم ٣٤) وعلى هذا فإن علم النفس البيئي يهتم ببحوث وتطبيقات المعلومات والنتائج النفسية في موضوعات تأثير الظواهر البيئية والطبيعية المحيطة بالإنسان ؛ مثل التلوث ، والضوضاء ، والزلازل ، والظروف الجوية ؛ كالعواصف ، ودرجات الحرارة ، والرطوبة ، والتهوية والإضاءة الصناعية ... وغنى عن البيان مدى اهتمام المجتمعات فرادى ، والعالم كوحدة كونية بأخطار البيئة ، خاصة التلوث في عصرنا الحالى .

مدارس علم النفس :

رغم أن الظاهرة النفسية واحدة ، إلا أن التفسيرات التى تصدت لتناولها تباينت . لهذا ظهرت عدة مدارس فى مجال علم النفس تعمل على تفسير السلوك تلك الظاهرة المركبة لهذا فإننا سوف نعرض فيما يلى ٨ مدارس هى أهم المدارس التى قامت لدراسة موضوع علم النفس وسنلاحظ أن كل واحدة من هذه المدارس قد اهتمت بجانب بالذات من جوانب الظاهرة السيكولوجية وغلبته على غيره . فمدرسة التحليل النفسى تهتم بجانب السواء والشذوذ فى الشخصية ، مدرسة

الجشطلت بالصيغة الكلية والادراك والمدرسة البنائية بعناصر الشعور ، والمدرسة الوظيفية بما يقوم به الكائن العضوى ككل أو الوظيفة الكلية . والمدرسة السلوكية بالسلوك الموضوعى . ومدرسة التحليل العاملى بالعوامل الأولية التى تتكون منها الشخصية وهى تتخذ من الاحصاء وسيلة لها .

والحقيقة أن هذه المدارس قد تركت بصماتها الواضحة على علم النفس المعاصر ، فالتحليل النفسى دخل إلى الطب النفسى وكان له تأثيره الذى يفوق ذلك الذى أحدثه فى علم النفس . ومدرسة الجشطلت كان لها تأثيراتها الواضحة فى دراسات الإدراك . أما مدرسة تحليل العوامل قد ادخلت المنهج الرياضى الاحصائى فى تحليل البيانات التى يحصل عليها الباحث فى مجال علم النفس ويضع الفروض وإجراء الاختبارات عليها .

والظواهر النفسية أو الوقائع السيكلوجية واحدة ولكن تفسيرها مختلف . بمعنى أن السلوك والملاحظات عليه واحدة والأسس النظرية لتأويلها متعددة . ولذلك وحدت المدارس الفكرية التى تضع وتقر أسماء نظرية للدراسة فى علم النفس . وتعالج هذه المدارس ، أو الأنساق النظرية فيما يلى :

١- المدرسة التكوينية " Structural School "

لم تكن المدرسة التكوينية ، البنائية بالسلوك الظاهر ، إنما اتجهت نحو سير غور الخبرات الشعورية ، أى دراسة التركيب النفسى للفرد ، أو التركيب البنائى للنفس البشرية . وكان مؤسسى هذه المدرسة يرون أن الحالات العقلية ، كالإحساسات ، والصور الذهنية للمشاعر الانفعالية هى التى يتشكل منها العقل الانسانى وكان منهج الدراسة فى كنف هذه المدرسة هو منهج التأمل التجريبي وقد ساعد على نشأة هذه المدرسة ومنهجها ماكان يجرى فى العلوم الطبيعية ، أى أنها تأثرت فى نشأتها بعلم الكيمياء ، الذى كان يعمل على تحليل المركبات إلى مكوناتها الأولية البسيطة . لذا فإن علماء النفس فى مجال هذه المدرسة عملوا على تحليل محتويات الشعور إلى صور ذهنية وإحساسات ومشاعر وكان ذلك يجرى فى المعمل النفسى .

وكان فضل هذه المدرسة على علم النفس أنه تطور ليصبح علماً تجريبياً وكان لفوننت وتنتشر فضل فى هذا ، وفى انفصال علم النفس عن الفلسفة .

٢- المدرسة الوظيفية : " Functional school "

الحياة العقلية ينبغى أن تبحث فى ضوء التكيف مع البيئه وهذا يتم فى ضوء التعلم وتحسين أساليب السلوك فوظيفة السلوك ماهى إلا تكيف للبيئه أفضل .

كذلك فإن الحياة العقلية أمور لا ينبغي النظر إليها كوحدات مترابطة أو متجمعة بعضها بجوار بعض .

إن المعلومات التي يكتسبها الفرد هي المسؤولة عن تحسين السلوك وتنشيط العقل وإن اكتساب الاتجاهات أمر يساعد على حسن التصرف ذلك أن هناك علاقة تفاعلية بين المثيرات والإستجابة ولا يخفى قيمة ذلك في توجيه السلوك في المواقف المختلفة ، ذلك أن هذه العلاقة التفاعلية إنما هي في حقيقة الأمر تجرى بين الكائن الحي وكل من البيئة المادية والاجتماعية .

وكان لهذه المدرسة الفضل في تنمية الإختبارات النفسية كما أنها تكمل المدرسة البنائية ، فهي ترى بوضوح أن هدف علم النفس إنما هو دراسة الوظائف العقلية ، وأن سلوك الإنسان يستهدف تحقيق توافق أفضل وعلى هذا فإن هذه المدرسة عند دراستها لوظيفة الإدراك فإنها تتناولها في ضوء وظائف أخرى كالانفعالات والحاجات.

كان للمدرسة الوظيفية أثر في المدارس التي ظهرت بعدها بالمدارس السلوكية ومدارس التحليل النفسي ، وإن كانت المدرسة السلوكية والتي من زعمائها جون واطسون وثورنديك والروسي ايفان بافلوف ، ترى أن علم النفس هو علم السلوك ، ذلك أن الشعور تجربة فردية لا يدركها إلى الفرد نفسه. أما السلوك فإن

ملاحظة ودراسة أمر يمكن إدراكه بواسطة صاحبه وغيره . كذلك فإن السلوك يمكن إدراكه في ضوء مثير واستجابة وعلي هذا فإننا نستطيع أن نتنبأ به ونتحكم فيه . إن كان بعض المبالغين من هذه المدرسة يحاولون تفسير السلوك في ضوء كونه سلسلة من الأفعال المنعكسة ، ما يحدث من ترابطات بينها وعلى ذلك فإن الأمر لا يتطلب قدرات أو استعدادات أو غرائز أو ذكاء موروث ، فالعملية كلها ما هي إلا عملية آلية ميكانيكية مركبة . وعلى ذلك فإن الأمر ينبغي أن يقع على دراسة السلوك الحركي الصريح للإنسان ، وهو بهذا دراسة موضوعية تجريبية . ولقد حدث لهذه المدرسة تطور إذا ظهر فيها من يدعو إلى دراسة الحالات الشعورية عن طريق التقرير اللفظي ، وهي بهذا ، تنحو نحو دراسة كل ما يقوم به الكائن الحي في ظروف معينة وكان هذا هو لواء المدرسة السلوكية الجديدة وهذه المدرسة قد تعرضت لنقد عنيف لنزعتها نحو الإفراط في التفسير الآلي، إذ اعتبرت علم النفس فرع من العلوم الطبيعية لذلك فإن الإستبطان ليس طريقاً من طرقه .

٤- المدرسة الجشطالتيه : " Gestalt school "

في أوائل القرن العشرين ظهرت مدرسة الجشطالت في ألمانيا وزعماءها فرتهمير ، وكهler ، وكفكا ، وليفين ، وكلمة جشطالت تعني التنظيم العام أو الكل المتكامل الأجزاء . وكان هذا رداً على النزعة المسرفة في تحليل الظاهرة النفسية إلى

عناصر جزئية . وإذا طبقنا هذا على النغمة الموسيقية فإننا ندرك أنها ليست مجموع أجزائها . فالجملة الموسيقية نغمات لو تغيرت طبيعة تركيبها أو تسلسلها أصبحت نغمة جديدة مختلفة عن سابقتها . كذلك فإن السلوك وحدة كلية وليس مجرد أجزاء مترابطة في تسلسل آلي ، فهو يشبه المركب الكيميائي لو حلل إلى عناصره تلاشى هذا المركب . وهو كالماء إذا حلل إلى أكسجين وهيدروجين فقد خواصه والإنسان لا يدرك الأشياء كوحدات منفصلة بل يدرك الشيء ككل أو كتنظيم معين .

ويلاحظ أن مدرسة الجشطالت قد أخذت بعض آرائها من العلوم الطبيعية كبعض المدارس التي سبقتها في الظهور نظريات التعلم كيف قام كوهلر بتفسير نظرية التعلم بالإستبصار ، وكيف أن جهود هذه المدرسة قد شاركت في بحوث الإدراك والتعلم وأثر هذا كله في نظريات التربية وعلم النفس التطبيقي .

هـ-مدرسة التحليل النفسى " Psycho analytical school "

أسس هذه المدرسة الطبيي النمسوى سيجموند فرويد " Sigmund freud " الذى شارك " شيركوه " فى تجاربه ثم انفصل عنه ليكون هذه المدرسة التى كان لها ابلغ الأثر فى علم النفس والعلوم الانسانية والسياسية والفنون والآداب وتاريخ الحضارة الانسانية .

لقد كشف فرويد عن الحياه اللاشعورية للانسان وكيف أنها وراء كل انماط السلوك التي تصدر عن الفرد وهي أشد تأثيراً من الجانب الشعوري . كذلك ابتدع طريقة فنية للعلاج النفسى باستخدام تداعى المعانى أو التداعى الحر وأسلوب الطرح واهتم بدراسة الشخصية اهتماماً بالغاً حتى أضحى علم النفس عند هذه المدرسة هو علم نفس الشخصية . وتناول الشخصية فى سوائها أو شذوذها . وكيف أن لطفولة الفرد فى مرحلة الرضاعة أثر بالغ الشدة على حياته فيما بعد هذه المرحلة وأن ملامح حياة الفرد تتشكل فى طفولته وإن علاقات الطفل بوالديه لها دور فى التمهييد للإصابة بالامراض النفسية والعقلية .

كذلك عرض لمفهوم الغريزه الجنسية وكيف أنها فى نموها تتوأكب مع النمو النفسى للفرد . كما أنه وضع الصورة الدينامية للشخصية . وأن ملامحها تتحدد فى ضوء الهو والأنا والأنا الأعلى ، وأن العلاقة الدينامية بينهم هى التى تحدد نمط الشخصية فى ضوء السواء أو الشذوذ حيث أن " الهو " هو الجانب البيولوجى للشخصية أى الجانب اللاشعورى .

والأنا هو الجانب الاجتماعى أى الجانب الشعورى للشخصية ، والأنا الأعلى هو الجانب القيمى أو الأخلاقى للشخصية أى هو مكن الضمير .

وكان من نتائج هذه الاتجاهات أن رفض فرويد أن يقتصر علماء النفس في دراساتهم على الشعور كما أنكر على السلوكيين اتجاههم نحو اختزال السلوك ونظرتهم الآلية له .

حقيقة إن فرويد أغرق في الإشارة إلى أهمية النواحي الجنسية لكن أدلر أكد أهمية دافع السيطرة كما أن يونج له آراء في الاضطرابات النفسية ، وبهذا تتوازن مدرسة التحليل النفسى القديمه والحديثه .

٦-المدرسة الغرضية " Purposive school"

يستهدف السلوك الانسانى أو الحيوانى تحقيق غرض أو غاية معينة فى حين أن الحركة الآلية تختلف عن هذا .

ويرى " مكدوجل " رائد هذه المدرسة أن الغاية أو الغرض قد لا يكون واضحاً جلياً أمام الكائن الحى عندما يسلك . كذلك فقد يكون الغرض أو الغاية بعيدة أو قريبه ولا شك أن الغرض أو الغاية قد يكون حيويّاً وله قيمه بيولوجية كسعى الأسد أن يتجنب تناول صيد غيره من الحيوانات . بينما غيره لا يأكل إلا الجيفه المنته ، والعصفور عندما يبنى عشه ، والسلوك عند هذه المدرسة يبدأ بدافع أو حافز لذلك فإن السلوك وحده يستهدف تحقيق أغراض معينه أو بالذات . وعلى هذا يفسر السلوك فى ضوء التغير أو التكيف الذى يحدث نتيجة لما يصادف الكائن

الحي مستهدفاً تحقيق غاية أو هدف وتغيير النظرة إلى هذا الهدف أو أهداف أو غايات أخرى .

وبهذا يعتبر السلوك وحده لا يصلح معه تحليله إلى عناصره الأولية أو من الناحية الوظيفية .

وتظهر أهمية هذه المدرسة في أن مكودجل لم ينكر أهمية أية طريقة من طرق البحث في علم النفس . وكذلك أهمية المدارس الاخرى والنظره الكليه إلى السلوك وتكامل الوظيفة والتكوين في فهم السلوك.

٧_المدرسه الترابطيه : " Associationism school "

السلوك سلسله متصله من العمليات العقليه المترابطه . وعلى ذلك فإن الحياه العقليه ليست عناصر مستقلة . فالتصرفات العقليه تحدث في ضوء ترابط المكونات العقليه ، وهذه قد تكون افكار او صور ذهنيه أو سلوك حركى أو حسى .

وفى ضوء قانون الترابط ، سواء أكان اقتران فى المكان أو اقترانفى الزمان فأن حدوث شيئين فى أن واحد أو مكان واحد يترتب على ذلك استدعاء واحد منهما اذا أثير الاخر ذلك يحدث فى ذهن الفرد .

فأنت إذا تذكرت مدينة نيويورك فإنه يرد إلى ذهنك صورة تمثال الحرية والعكس صحيح . ونحن عندما نقول أن الشيء بالشيء يذكر ، أى أن كل شبيه يدعو إلى الذهن مايشبهه . وهذا ما أسماه فرويد تداعى المعانى أو تداعى الأفكار .

وقيمة هذه المدرسة ان نظرتها مهدت الطريق نحو تفسير عمليات الحفظ والتذكر وتكوين العادات وكان لها دورها فى التأثير على المدارس الأخرى .

٨-مدرسة تحليل العوامل : " Factor analysis school "

أسس هذ المدرسة تشارلز سبيرمان الذى كان أحد تلاميذ فونت وشاركه فى تطوير واستمرار هذه المدرسة سيرل بيرت ، وأيزنك وهذه المدرسة تتصدى لدراسة الشخصية والذكاء والميول والقدرات والاستعدادات ، ووسيلتها فى الدراسة الاختبارات السيكولوجية المختلفة والاحصاء . وهى تستخدم الاحصاء البسيط والمتقدم والمعقد فى فهم وتفسير الشخصية والهدف من وراء هذا الوصول إلى معرفة العوامل التى تتألف منها هذه المركبات السيكولوجية أى الشخصية وسماتها وخصائصها .

ولا شك أن لثرستون وجهوده العلمية دور فيما ذهبت إليه هذه المدرسة وللتحليل العاملى أثره البارز فى بحوثها .

وبعد فإن هذه المدارس لم تكن نغمه على علم النفس ، بل كانت نعمه عليه ،
وذلك أن مؤسسى هذه المدارس وتلاميذهم وصلوا بوجهات نظرهم المختلفة إلى
حقائق سيكولوجية أساسية يتفق عليها سوادهم ، وأن كان هناك خلاف حول
موضوع علم النفس الذى هو علم السلوك والتوافق .

الفصل : الثالث

منهج البحث فى علم النفس

محتويات الفصل :

المعرفة الدارجة والمعرفة العلمية

المقصود بالمنهج العلمي

أولاً : خطوات المنهج العلمي

ثانياً : مناهج البحث

١- منهج الاستبطان

٢- منهج الملاحظة

٣- منهج التجريب

٤- المنهج الاكلينيكي

المعرفة الدارجه والمعرفة العلميه :

لم تظهر العلوم المعروفه فى وقتنا الحالى ، وبصورتها الراهنه فى أول أمرها ، على هيئة معرفة علميه منظمه كما هى الآن، بل بدأت تتطور تدريجياً قبل عصور الكتابه والتسجيل على هيئة معارف دراجه ، يحصلها الشخص العادى (أو كما نطلق عليه رجل الشارع) بشكل عشوائى غير مقصود ولا منظم ؛ وإنما تلقائياً من خبرته اليوميه ، ومما يشهده أو يشترك فيه أو يسمع عنه من احداث و خبرات وتجارب ، فكانت المعرفة فى بدايتها اشبه بالتعليم التلقائى الذى تأتى به حياة الفرد اليوميه وخبراته المتتاليه ، يدعمها حب الإستطلاع كدافع فى الإنسان يعوده إلى معرفة الجديد ، وتتاولها الأجيال بعد أن تتاولها بالتعديل و الإضافه مع أزيداد خبرة الإنسان ، وتعاقب الأجيال . و لقد ظل الحال هكذا حتى اخترعت الكتابه وشاع التسجيل و أزدادت المعارف و تنوعت ، ثم ظهرت التخصصات العلميه حديثاً و تمايزات العلوم، وبدأ كل منها يستقل بموضوعه و منهجه و علمائه ، و يحصل بشكل منظم فى مدارس و معاهد خاصه بالتعليم و التحصيل .

معنى هذا أن علم الحساب _ على سبيل المثال _ لم يكن موجوداً بصورته المتمايزه الحالیه قبل أختراع الكتابه ، و مع ذلك كانت الناس فى حياتها اليومية

ولضرورتها المادية تتعامل باستخدام أصول الحساب ومبادئه ، فكانت تجمع وتطرح عندما تبيع أو تشتري أو تبادل على بضائعها ومنتجاتها ، وكانت القبيلة أو الأسرة تقسم الأنصبه على أفرادها وهكذا ومايقال عن علم الحساب يصدق بالمثل على غيره من العلوم ، ذلك أن بقاء الحياة واستمرارها وتطورها رهن بما كان معروفاً في الماضي وما هو معروف الآن من معارف ومعلومات تيسر لنا سبل الحياة ، وتمكننا من السيطرة عليها وتطويعها لصالحنا وضروراتنا. ومع اختراع الكتابة والتسجيل ، ومع تطور المعارف وتمايز العلوم وتقدمها ونضجها - كما هي عليه الآن - لم تتخل المعرفة الدارجه عن وظيفتها ودورها خصوصاً لدى الصغار ولدى العوام ، حيث يقل مستوى التعليم الرسمي المنظم أو يكاد ينعدم ، فعندئذ يتضاعف دور المعرفة الدارجه (أو تعليم الحياه كما يشير إليه ب " بالحياة علمتني ") وتمارس نفوذها في مختلف نواحي الحياه بقوة وتأثير . وبصفة عامة فإننا جميعاً ، كباراً وصغاراً ، متعلمين وأمينين ، ذكوراً وإناثاً ، أغنياء وفقراء ، أصحاء ومرضى لا غنى لنا عن الاستعانه - في كثير من مواقف الحياة - بالمعرفة الدارجه في مختلف التخصصات . فالشخص الذي لم يذهب إلى مدرسة ولا يعرف القراءة ولا الكتابه يذهب إلى التاجر ويشترى منه ، ويعطيه ويأخذ منه ويحاسبه دون خطأ مستعيناً في ذلك بمعرفته الدارجه بالحساب وبالمثل ، يستحيل علينا التوافق والتوفيق في حياتنا مع غيرنا ما لم نكن

على قدر من المعرفة النفسية لمن نتعامل معه ونعيش بينهم ونحتك بهم ، كما يستحيل علينا - فى نفس الوقت - أن نحقق نجاحاً فى حياتنا ما لم يكن كل منا على قدر من المعرفة بنفسه ونفوس الآخرين .

وهذا القدر تكفله لنا المعرفة الدارجة ، وما نحصله من خبراتنا اليومية ومن مصادر المعرفة الدارجه التى أشرنا إليها فيما سبق . تتقدم إلى شخص تريد أن يقدم لك خدمه معينه ، فإذا بك تر ملامح الغضب والاستثارة بادية عليه فتدرك - تلقائياً- أنك لو طلبت منه أداء هذه الخدمه فإنه سوف يرفض فتؤجل ذلك ريثما تهدأ نفسه ، وتصفو سريرته ، ويصبح فى حاله من الارتياح ، وعند ذلك تتقدم طالباً منه مايريد .

ويجربى لاعب الكرة يقذفها بقدمه غير بعيد منها حتى يلاحقها ، فإذا هجم عليه منافسه من الفريق الآخر لينتزعها منه أدرك نواياه فإذا به يقذفها بقوة نحو زميل له منتبه إليه ومستعد لتلقيها . وهو لا يفعل ذلك إلا إذا اطمئن إلى انتباه زميله واستعداده لتبادل الكره معه ، حتى لا تضيع إلى الفريق المنافس .

يتقوه الطفل الصغير بألفاظ يتهلل لها وجه أبيه وتتفجر أساريره ، فيدرك الطفل بعفويته ذلك ، فيكررها عندما يريد إدخال السرور على أبيه . فنحن - إذن - جميعنا نرتب سلوكنا وفق معرفتنا بما تريده نفوسنا وبما نعرفه عن نفوس من

نتعامل معهم ، حتى نحقق أقصى ما نستطيع من توفيق ونجاح ، ونحصل على أقصى ما يمكن من مكاسب . إن لم نوفق فى هذه المعرفة فشلنا فى تحقيق ما نريد ، عند ذاك لا ينبغي أن نلوم إلا أنفسنا بالدرجة الأولى .

ومن حسن الحظ ، أن كلا منا يتاح له تحصيل هذه المعرفة الدارجة ، وبشكل تلقائى وبطبعه بشكل عفوى يكاد لا يفطن إلا إنه يقوم بذلك فى كثير من الحالات حتى أن الأمر بالنسبة له لا يكون متميزاً عن التصرف العفوى الذى يقوم به .

ومع توافر المعرفة الدارجة وشيوعها ، سواء بالنفس أم بغيرها من فروع المعرفة المختلفة ، إلا إننا فى أمس الحاجة إلى المعرفة العلمية ، وهى تلك المعرفة التى تأتينا عن النظر الواعى المقصود والبحث المنظم الدؤوب والدقيق ، للكشف عن حقائق الظواهر واستجلاء كنهها وفص غموضها ، والاستفادة من كل ذلك فى زيادة سيطرة الإنسان على ظواهر الكون وأمور الحياة ، حتى يؤدى ذلك بالإنسان إلى رفاهية أكثر ، وسعادة أشمل عن طريق تحقيق أهداف العلم ؛ ولا تتأتى هذه المعرفة العلمية إلا باستخدام المنهج العلمى فى تحصيل المعرفة ، مما يجعل المعرفة العلمية أدق وأشمل وأكثر صدقاً ، وبالتالي أدعى للثقة فيها ، وأكثر تطبيقاً وإفادة .

المقصود بالمنهج العلمى : "Scientific method"

هو الخطوات التى يتبعها الباحث أو العالم للوصول إلى الحقيقة المتعلقة بالظاهرة التى يبحثها ، ويوجز عبد الرحمن بدوى تعريف المنهج فيقول " ... معناه إذن

الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم ، بواسطة طائفه من القواعد العامه تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى حقيقة معلومه " .

وعن المنطق الحديث يذكر محمود قاسم : " هو منطق خاص لأنه لا يدرس القواعد الشكلية العامة ، كما كان يزعم أنصار المنطق القديم ، لكنه يدرس الطرق الخاصه التى تتبع بالفعل فى كل علم من العلوم . ومن البديهي أن مناهج العلوم تختلف باختلاف الظواهر التى تعالجها " والمقصود بالمنطق الحديث هنا هو مناهج البحث .

ويشير محمد عابد الجابرى إلى شئ قريب من هذا حيث يقول : " والمنهاج العلمى هو جملة العمليات العقلية ، والخطوات العلمية ، التى يقوم بها العالم ، من بداية بحثه حتى نهايته ، من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنه عليها .

وبما أن العلوم تتميز بموضوعاتها ، فهى تختلف كذلك بمناهجها . ولذلك ، لا يمكن الحديث عن منهاج عام للعلوم للكشف عن الحقيقة فى كل ميدان ، بل

فقط عن مناهج علمية . إن لكل علم منهاجه الخاص ، تفرضه طبيعة موضوعه.

ومما سبق ، نستنتج أن على العالم أو الباحث العلمى أن يكيف خطوات بحثه وأسلوبه وفق طبيعته الخاصة لعلمه ، بل وأيضاً وفق الطبيعة الخاصة للظاهرة المعنية التى يكون بصدد بحثها . ومن هنا ، اختلفت مناهج كل علم عن غيره فى قواعدها الخاصة . كما اختلفت الخطوات التى يتبعها العالم الواحد فى بحثه لظاهرة معينة عن بحثه لظاهرة أخرى بعض الاختلاف .

وهكذا ، يمكن أن يكون للعلم الواحد أكثر من منهج طالما اختلفت طبيعة ظواهره فيما بينها ، بحيث يصبح منهجاً أصح من غيره لدراسة ظاهرة معينة من ظواهر هذا العلم . وما يهمنا هنا هو المناهج العلمية للبحث فى مجال علم النفس ، ويمكن تقسيمها إلى أربعة مناهج أساسية متميزة ، هى :

- ١- منهج الاستبطان .
- ٢- منهج الملاحظة .
- ٣- منهج التجريب .
- ٤- المنهج الاكلينيكي .

بل إن بعض هذه المناهج ينقسم إلى مناهج فرعية ، على نحو ماتتقسم الملاحظة إلى : ملاحظة طارئة ، وملاحظة مقصودة ، وملاحظة بالمشاركة .

أولاً : خطوات المنهج العلمى :

عندما نريد القيام ببحث علمى فى مجال علم النفس ، وبغض النظر عن نوع المنهج الذى سوف نستخدمه ، فإن علينا أن نراعى اتباع خطوات المنهج العلمى الأساسية على النحو التالى عادة :

١ - تحديد موضوع البحث :

فهنا ينبغى علينا أن نوضح - قدر الإمكان - الظاهرة التى نريد القيام ببحثها ، ونعرف تعريفاً واضحاً الجوانب المحددة من هذه الظاهرة التى نقوم ببحثنا من أجل الوصول الى الحقائق المتعلقة بها ، فمثلاً ، إذا كنا نريد بحث ظاهرة الأحلام ، فينبغى علينا أن نحدد جوانب محددة فى هذه الظاهرة نريد بحثها ، ولتكن علاقة الأحلام بالحالة النفسية للفرد قبل نومه وحتى فى هذه الحالة علينا أن نقوم بتحديد أكثر لما نقصده بالفرد : هل هو الطفل أم هو المراهق أم هو الشاب أم هو الكهل ؟ ؛ ثم أى أنواع الأفراد اللذين نريد دراسة الظاهرة فيهم هل هم الذكور أم الإناث ... وهكذا ، يجب علينا أن نحدد موضوع البحث تحديداً دقيقاً وأن نضع تعاريف واضحة للجوانب التى نقوم بدراستها .

٢- تحديد هدف البحث (أو فروضه) :

وكما فعلنا في الخطوة السابقة ينبغي أن نبين ما نهدف إليه من قيامنا بهذا البحث ، هل هو اختبار فروض معينة لمعرفة مدى صدقها أو مدى زيفها ... وفي مثل هذه الحالة ، علينا أن نذكر هذه الفروض بشكل محدد ... أم أن هدف البحث هو اكتشاف كل ما يمكن اكتشافه من حقائق ومعلومات متعلقه بالظاهرة التي نبحثها نزداد فهماً لها ، ووعياً بعواملها وظروف حديثها ... أم الإجابة عن تساؤلات واستفسارات معينة متعلقة بالظاهرة التي نريد بحثها ...

٣- تحديد عينة البحث :

إن تحديدنا للخطوتين السابقتين بوضوح ودقة سيؤدي بنا إلى تحديد مجتمع البحث تحديداً دقيقاً . ففي المثال السابق عن بحث ظاهرة الحلام عندما نحدد موضوع بحثنا بأنه علاقة الأحلام بالحالة النفسية للمراهق الذكر قبل نومه ، وعندما نحدد هدفنا من البحث في كشف ما نستطيع اكتشافه من حقائق متعلقه بهذه الظاهرة ، فإن هذا التحديد سيحدد بدوره مجتمع البحث وهو كل المراهقين الذكور . إلا أن إمكانيات الباحث في غالب الحالات لا تمكنه من أن يجرى بحثه ويجمع بياناته من كل أفراد مجتمع البحث ، كما هو في حالة مثالنا هذا . فلا يكون أمام الباحث - والحال هكذا - إلا أن يقتنع بإجراء وجمع بياناته من عدد محدود من أفراد المجتمع الأصلي للبحث وفق طاقته . ونطلق على هذا

العدد المحدود عينة البحث . على اعتبار أنها مجرد عينة من المجتمع الأصلي
تقوم مقامه وتمثله . حتى إذا خرجنا بنتائج من بحث هذه العينة فقط يمكن أن
نقوم بتعميمها على المجتمع الأصلي ، وكأنها أتت منه ولم تأت من مجرد عينه
. ولذا وجب أن يكون حجم العينة كبيراً بعض الشيء . ويساعدنا علم الاحصاء
في تحديد الأعداد المناسبة للعينات التي تقوم مقام المجتمع الأصلي .
إلا أن هناك شروطاً هامة لكي تصلح العينة للبحث العلمي (أى لكي نستطيع
تعميم نتائجها على المجتمع الأصلي ، وحت يمكن الاعتماد على نتائجها
والاطمئنان عليها) وأهم هذه الشروط جميعاً أن تكون العينة ممثلة تمثيلاً صادقاً
للمجتمع الأصلي ؛ بمعنى أن تتوفر فيها كافة خصائص المجتمع الأصلي
الرئيسية التي يربح تأثير الظاهرة موضوع البحث بها ؛ كالدين ، والتعليم ،
والمستوى الاقتصادى الاجتماعى ، والبيئه المحلية ... والسن ، والنوع ... بل
وبنفس نسب توافرها تقريباً فى المجتمع الأصلي . وأن تكون العينة - أيضاً -
عينة غير متحيزة ؛ بمعنى أن تتيح لكافة أفراد المجتمع الأصلي أو مفرداته
فرصاً متساوية للوقوع فى العينة . وترشدنا مراجع مناهج البحث ومراجع
الاحصاء إلى الخطوات التفصيلية التي تمكننا من تحقيق ذلك بشكل مرض .

٤ - تحديد أدوات البحث ووسائله وإعدادها وتطبيقها :

إن الخطوات الثلاث السابقة سوف تقودنا معاً إلى تحديد أنسب أدوات البحث التي تساعدنا في تحقيق أهدافنا وأكثرها ملائمة لذلك ، كما أنها تساعدنا في تفاصيل كيفية إعداد هذه الأدوات وتجهيزها واختيار الملائم منها . كما أن شخصية الباحث نفسه ، وإعداده ، وخبراته ، وظروفه جميعاً سوف تؤثر في تفضيل استخدام أداة على غيرها ، أو اختيار أداة دون غيرها ... فكل بحث في حاجة إلى بيانات يجمعها الباحث ، ثم يعالجها ويحللها ويستنتج من كل ذلك أو يستدل على الحقيقة أو المعلومة التي يبحث عنها .

ولكى يجمع الباحث هذه البيانات المطلوبة لابد له من أدوات أو وسائل يجمع بها بيانات بحثه . وتتنوع هذه الأدوات وتلك الوسائل بالنسبة للباحث النفسى : فهناك الإختيار النفسى ، وهناك المقابله ، وهناك الإستبيان ، وهناك الاستبطان ، وهناك الملاحظه ، وهناك التجريب ... وهناك الدراسه النظرية والمكتبيه .. وكل من هذه الأدوات وتلك الوسائل يحتاج إلى تدريب خاص وتأهيل وخبره من جانب الباحث حتى يجيده . كما أن الباحث نفسه يحتاج إلى تصميم وإعداد ، أو اختيار أنسب المتاح من هذه الأدوات وتلك الوسائل ليجمع بها ما يريد من بيانات دقيقة

عن الظاهره موضوع البحث ، تمهيداً لمعالجتها في الخطوه التاليه للخروج بنتائج البحث ألتى يستهدفها .

ومن الجدير بالذكر أن الباحث قد يلجأ إلى أكثر من أداة لجمع البيانات في بحث واحد .

٥_ معالجة البيانات : " Data processing "

بعد الإنتهاء من جمع البيانات الذى قمنا به في الخطوة السابقة نقوم في هذه الخطوة بمعالجة البيانات التى جمعناها لنخرج منها بنتائج البحث . وغالباً ما يتم لنا ذلك بنوع أو أكثر من هذه المعالجات الشائعة ، والتى يحددها البحث ومساره:

(أ) تصنيف البيانات : " Data classification "

ويتم ذلك بتقسيم البيانات وتصنيفها إلى أقسام أو فئات على نحو ما يحدث في الجداول التكرارية المعروفة ، أو الفئات النوعية التى يمكن أن تصنف إليها هذه البيانات وتقسم ؛ كبيانات الذكور وبيانات الإناث ، أو بيانات الصغار وبيانات الكبار ؛ أو بيانات صغار الذكور وبيانات كبار الذكور ، وبيانات صغار الإناث وبيانات كبار الإناث ... على سبيل المثال . وطبيعة البحث وهدفه هى التى سوف تحدد لنا التفاصيل الأنسب لتصنيفات بياناته .

(ب) عرض البيانات " Data presentation "

بعد أن تصنف البيانات يمكن القيام بعرضها في جداول تكرارية أو في رسوم بيانية أو على لوحات أو بطاقات توضح لنا نتائج البحث ، أو - على أقل تقدير - توحى لنا باتجاهات هذه النتائج وما يستخلص منها على وجه التقريب .

(ج) التحليل الكمي للبيانات : " Quantitative Analysis "

وهو معالجة البيانات على المستوى الإحصائي الرقمي ، وهنا يستعين الباحث الذى يريد أن يقوم بمعالجة كمية لبيانات بحثه ، بالأساليب والمعاملات الإحصائية المختلفة ، حتى تخرج نتائجه فى صورة أرقام تجسد الحقائق التى حيسعى عن طريق بحثه إلى كشفها وإبرازها . وقد يقوم هو نفسه بهذه المعالجات الاحصائية ، وقد يستعين بالكمبيوتر ويعهد إلى مشغلية وأخصائية بذلك بعد أن يعطيهم بيانات بحثه التى يريد معالجتها الإحصائية .

ومن أمثلة المعالجات الاحصائية للبيانات استخراج المتوسطات الحسابية ، والانحرافات المعيارية ، ومعاملات الارتباط ، وتحليلات التباين ، ومقياس الدلالة الإحصائية .

وكثيراً ما تتحقق أهداف البحوث عن طريق الوصول إلى هذه المعاملات الإحصائية ؛ مثال ذلك أن يكون هدف الباحث هو معرفة مدى العلاقة بين

التحصيل الدراسي والذكاء في المدرسة الابتدائية . فيطبق الباحث مقياساً للذكاء على عينة من تلاميذ المدرسة الابتدائية ينتهي منه إلى تحديد مستوى ذكاء كل منهم أو نسبة ذكائه ، أو درجة ذكائه . ثم يقوم بحساب معامل الارتباط بين نتائج مقياس الذكاء ونتائج اختبارات التحصيل الدراسي التي تبين مستوى تحصيل كل من أفراد هذه العينة . ويستخرج هذا المعامل ومعرفة مقداره واتجاهه (سالباً أم موجباً) يتحقق الهدف الذي من أجله قام الباحث ببحثه .

(د) التحليل الكيفي للبيانات " Qualitative Analysis "

ويقصد به استنتاج الدلالات التي توحى بها البيانات ؛ أي قراءة ما بين سطورها ، واستكشاف ما يكمن خلفها من ميول واتجاهات ، وانفعالات وعواطف ، ودوافع وديناميات ، ورغبات وآمال ، ومخاوف ومقلقات ، واضطرابات وانحرافات ، أو سواء واتزان ... ومن أمثلة ذلك أن يقوم الباحث بدراسة العلاقة بين التحصيل الدراسي وديناميات الشخصية في المدرسة الثانوية فيطبق - على سبيل المثال - اختبار تفهم الموضوع " TAT " على ثلاث مجموعات من طلبة المدارس الثانوية ؛ مجموعه منها تمثل مجموعة المتفوقين تحصيلياً (وفق الاختبارات التي تحدد مستوى تحصيلهم) ، والثانية تمثل مجموعة الفاشلين تحصيلياً ، أما الثالثة فتتمثل مجموعة المتوسطين تحصيلياً . وبعد ذلك يقوم الباحث بتحليل استجابات كل

مجموعة لهذا الاختبار بقراءة هذه الاستجابات واستكشاف دلالاتها الدينامية المميزة للشخصية ، والشائعة في كل مجموعة على حده . ثم يقوم بعد ذلك بمقارنة ديناميات الشخصية في هذه المجموعات الثلاث لاستخلاص العلاقة بين التحصيل الدراسي وديناميات الشخصية .

وقد يتطلب بحث معين التحليل الكيفي وحده دون حاجه إلى تحليل كمي ، كما هو الحال في المثال الأسبق ، وقد يتطلب بحث ثالث قيام الباحث بالنوعين من التحليل معاً ؛ مثال ذلك أن يقوم باحث بدراسة " سيكولوجية التحصيل الدراسي في المدرسة الثانوية " فلا يكتفى بأن يطبق على المجموعات الثلاثة - التي أشرنا إليها في المثال السابق - اختبار تفهم الموضوع بل يضيف إليه اختباراً للذكاء ، وآخر للذاكرة ، وثالثاً للاستعداد اللغوي ، ورابعاً للمعلومات العامة ، حيث يعالج البيانات التي يحصل عليها من اختبار تفهم الموضوع معالجة كيفية ، ويعالج البيانات التي يحصل عليها من الاختبارات الأخرى معالجة كمية . وواضح من ذلك أن طبيعة البحث وظروفه وأهدافه ونوعية البيانات التي تجمع له وتناسبه .

٦- تفسير النتائج " Interpretation " لا ينبغي على الباحث أن يتوقف في بحثه بمجرد وصوله إلى النتائج التي كان يبحث عنها ، والتي ينتهي إليها من

استكمال الخطوة السابقة ، بل ينبغي عليه أن يجتهد في تفسير نتائجه ، وتأمل أسباب خروجه بها ، مقترحاً ما تتطوى عليه من مضمون سيكولوجى يبررها ، ومنطق عقلى يقنع بها . ويساعده فى ذلك عمق بصيرته وسعة اطلاعه ، ومستوى علم ودقة تخصصه ، وموسوعية معرفته بجوانب الظاهرة التى يبحثها . ويعينه فى كل هذا إمكاناته العقلية ، واستعداداته النفسية ، وبحوثه المكتبية .

فعلى سبيل المثال ؛ إذا كانت نتيجة البحث فى مثالنا السابق عن علاقة الذكاء بالتحصيل الدراسى فى المدرسة الابتدائية هى وجود معامل ارتباط موجب جزئى قدره " +0,5 " فإنه يجب علينا أن نبرر هذه النتيجة ، فنوضح لماذا خرج لنا الارتباط موجباً وليس سالباً ، وجزئياً وليس تاماً . كأن نقول إن الذكاء يعنى - ضمن مايعنىة - القدرة على التعلم وعلى الفهم ، وعلى إدراك العلاقات والمتعلقات بين الأشياء والأمور بعضها البعض .

والتحصيل الدراسى فى المدرسة الابتدائية يتطلب كل هذه القدرات ، ومن هنا كان الارتباط موجباً بين الذكاء والتحصيل (أى أنه كلما ارتفع ذكاء الطفل كان هناك احتمال أكبر أن يرتفع مستوى تحصيله الدراسى) . أما لماذا كان معامل الارتباط جزئياً ولم يكن الارتباط تاماً فإن ذلك يرجع إلى أن التحصيل الدراسى لايعتمد فقط على الذكاء ، بل يعتمد على عوامل كثيرة من أهمها الذكاء ، لكنه ليس الوحيد .فالتحصيل الدراسى يعتمد مثلاً - على صحة التلميذ الجسمية وعلى

صحته النفسية ، وعلى ظروفه الاقتصادية ، وعلى مستوى وعى والديه وثقافتهما . والتلميذ الذكى قد لا تكون ظروفه الأخرى - المساعدة على التحصيل - متوافرة فيضعف تحصيله بالرغم من ذكائه ، والتلميذ المتوسط فى ذكائه قد تكون ظروفه الأخرى المساعدة على التحصيل متوافرة بدرجة كبيرة فيتفوق فى تحصيله على زميله الأذكى منه ... وهكذا ، لا يكون الاتفاق تاماً بين الذكاء والتحصيل الدراسى ، بل يكون اتفاقاً أو ارتباطاً جزئياً فقط (أقل من الواحد الصحيح) .

٧- تطبيقات البحث " Applications "

معظم البحوث العلمية تستهدف الفائدة التى تعود من تطبيقات نتائجها لصالح الناس ولرفاهية المجتمع ، وإنجاحه فى تحقيق أهدافه . ولذا ينبغى على الباحث العلمى أن يجتهد فى وضع توصيات لتطبيقات نتائج بحثه لصالح مجتمعه ، ويبين كيفية تطبيق توصياته ومجالات الاستفادة من نتائج بحثه ، إذا كانت نتائج بحثه مما يمكن الاستفادة العلمية منها .

فعلى سبيل المثال ، لو كان من نتائج البحث - الذى سبق لنا أن ضربناه مثلاً عن " سيكولوجية التحصيل الدراسى فى المدرسة الثانوية " أن ضعف الذكاء واضطراب الصحة النفسية ، كل منهما يؤدى بالطالب إلى فشله فى التحصيل الدراسى ؛ عند ذلك يمكن للباحث أن يوصى المسؤولين عن المدارس الثانوية بعدم قبول التحاق الطلاب بها إلا بعد إجراء اختبارات ذكاء عليهم ، واطمئناننا

إلى أنهم فى مستوى ذكاء مناسب ، ورفض منخفضى الذكاء ونصحهم بالتوجه إلى مراكز تدريبية مهنية تكون أنسب لهم ويرجى فيها نجاحهم . كما ينصح المسئولين بعلاج الاضطرابات النفسية التى تظهر لدى الطلاب حتى يرتفع مستوى تحصيلهم ...

٨- كتابة البحث وتقديمه : "Written presentation"

وتكون الخطوة الأخيرة المتعلقة بالبحث هى تدوينه كتابة لتقديمه إلى من يريد الباحث ، سواء أكان لجهة كلفته به ، أم للجامعة ليحصل به علي درجة علمية أم لمؤتمر علمى ، أم في ندوة ، أم في محاضرة ، أم في كتاب ، أم في مجلة ... وفى كافة هذه الأحوال ، عليه أن يلتزم الأسلوب العلمى السليم والمتعارف عليه فى تقديم البحوث . كما عليه أن يسجل الخطوات التى انتهجها فى بحثه ويصفها وصفاً يفى بالغاية التى يكتب بحثه من أجلها ، ويناسب الظروف الذى يقدم بحثه فيه . وبالتالي ، تتفاوت كتابة البحث وأجزائه بين الشرح المطول والتلخيص الموجز من حالة لأخرى حتى يناسب ظروف تقديمه . بل إن مواطن التركيز والاهتمام فيه سوف تختلف حتى تناسب الظروف المعين . فعلى سبيل المثال ، إذا كنا نقدمه للحصول على درجة علمية قد يصل مئات الصفحات ، بينما إن كنا نقدمه لمؤتمر علمى أو للنشر فى إحدى المجالات فلا ينبغي أن

يتجاوز عشرات الصفحات ... وهكذا ويجب ألا ينسى الباحث ذكر مراجع بحثه التي استعان بها .

وينبغي أن نؤكد أن هذه الخطوات هي خطوات عامة وشائعة وقابلة للحذف والإضافة والتعديل والاتفاق والاختلاف ، وفق حالة الباحث وظروف بحثه ، طالما أن هذا لا يؤثر على صلب المنهج العلمي وجوهرة .

ثانياً : مناهج البحث :

تتشابه البحوث النفسية المختلفة في الخطوات الأساسية باستثناء خطوة هامة هي خطوة ادوات البحث ووسائله (الخطوة الرابعة) ؛ حيث تتمايز البحوث بهذا الخصوص تمايزاً واضحاً . ونظراً لهذا ، ووفقاً لمبدأ إطلاق الجزء على الكل ؛ فإن منهج البحث كله يعرف بخصوصية الوسيله والأداة التي استخدمت له ؛ فيقال هذا بحث إكلينيكي ، أو هذا بحث تجريبي ، أو هذا بحث استبطاني ، أو هذا بحث بالملاحظة ...

وعلى هذا فإن هناك مناهج علمية أربعة أساسية - على نحو ما سبق أن أشرنا في مطلع هذا الفصل- يحسن أن نتحدث - الان - بشئ من التفصيل عن كل منها :

(أ) منهج الاستبطان :

يعني الاستبطان أن ينظر الإنسان إلي داخله ليحدثنا عما يجرى فيها وما يحدث بداخلها ، ولذا يسمى أحياناً بالملاحظة الداخلية ، أو الملاحظة الذاتية ، حيث يقوم الفرد بملاحظة ذاته ويحدثنا عنها . كما يطلق عليه أحياناً أخري التأمل الذاتي ؛ أي تأمل الفرد لذاته ليحدثنا عنها ، وكلها لها نفس المعني وتحوي نفس المضمون .

ومن أمثلة استخدام هذا المنهج أن يقوم الباحث . كما في المثال الذي سبق أن أشرنا إليه) بدراسة ظاهرة الأحلام في علاقتها بالحالة النفسية للفرد قبل نومه . فيسأل كل فرد - ممن يبحثهم - أن يدلي إليه بما رآه في نومه ، ثم يسأله عن حالته النفسية قبل نومه ، عن مشاعره ، عن آماله ، عن رغباته ، عن جوعه ، عن عطشه ، عن خوفه ... عن الأفكار التي وردت عليه عندما استلقى على فراشه قبل أن يدخل في نومه العميق .. إن الباحث هنا يطلب من الفرد أن يتأمل ما بباطن نفسه ويصفه له ويحدثه عنه .

والباحث عندما يستخدم طريقة الاستبطان (أو منهجه) يستعين فيها بما يراه مناسباً من أدوات تساعده في بحثه ، سواء في ذلك الاختبار النفسي أو الاستبيان أو المقابله .. لاستكمال ما يريد جمعه من بيانات ، أو ما يبحث عنه من معلومات عن عينة بحثه .

تقييم لمنهج الاستبطان :

لعل أهم ما يؤخذ على هذا المنهج أنه منهج ذاتي إلى حد كبير ؛ أي تعتمد البيانات التي نحصل عليها من استخدامه على ذاتية الشخص القائم بعملية الاستبطان :

- ١- فهو قد يعتمد خداعنا وتضليلنا فيدلى ببيانات كاذبة بقصد منه .
- ٢- أو قد يدلى ببيانات كاذبة فعلاً لكن دون أن يعتمد تضليلنا وذلك لوجود دوافع لاشعورية (لا يحس بها ولا يدركها) تموه على الحقيقه وتزييفها خاصة إزاء الظاهرة موضوع البحث .
- ٣- أو قد يكون عيباً في التعبير عن نفسه ضعيفاً فيه (كنتيجة لضعف استعداده اللغوي أو لضعفه العقلي) وبالتالي حتى مع افتراض صدق نيته لايعطى لنا البيانات الصحيحة اللازمة لبحثنا .
- ٤- أو قد يجد حرجاً في مواجهة ذاته والإفصاح عما بها فيمتنع عن الإدلاء ببيانات عن استبطاناته .
- ٥- لا يصلح هذا المنهج مع صغار الأطفال الذين لم يجيدوا الكلام بعد .
- ٦- لا يصلح أيضاً في دراسة الحيوانات .
- ٧- عندما نطلب من فرد أن يحدثنا عن مشاعره وانفعالاته ، خاصة أثناء تواجد مشاعره وانفعالاته ، فإنهما يتأثران فيخفان في حديثهما ، نظراً لأنه ينقسم

على نفسه بين ملاحظ وملاحظ ؛ أى أن طاقته التى كانت تتصرف كلية لمشاعره أو انفعالاته يسحب جزءاً منها ليستهلكه فى عملية الملاحظة والاستبطان ، فتقل بالتالى حدة مشاعره وانفعالاته .

إلا أن علماء النفس يمكنهم علاج الكثير من نقاط الضعف السابقة ، فعلى سبيل المثال :

١- يختبر مدى صدق القائم بالاستبطان ، وذلك من خلال مقاييس للصدق تستخدم فى الاختبارات النفسية القائمة على الاستبطان كأن نكرر السؤال بصيغة مختلفة حتى لايفطن المبحوث إلى أنه نفس السؤال . ويكرر ذلك الأمر بالنسبة لعدد من الأسئلة لنرى مدى اتساق إجابات الفرد فيها ، إذ يعبر مدى الاتساق عن مدى الصدق . ويستبعد من البحث كل من كان مقدار صدقه منخفضاً ، ويركز على ذوى درجات الصدق المرتفعه .

ومثل أيضاً أن تضع للمبحوث عدداً من الأسئلة التى يجيب عنها الصادقون بشكل معين ، فكلما أجاب عنها المبحوث بنفس كيفية إجابة الصادقين ارتفعت درجة صدقه ، وكلما خالف فيها الصادقين انخفضت درجة صدقه ؛ مثل سؤال :

أجب بنعم أو لا على العبارات التالية :

- أنام مبكراً دائماً .
- لم أكذب ولا مرة واحدة فى حياتى .

- كل الناس تثق فى .

٢- لا نطلب من الفرد أن يحدثنا عن مشاعره وانفعالاته فى حينها ، بل ننتظر فترة مناسبة ثم نطلب منه أن يحدثنا عنها من ذاكرته ويصفها من استرجاعاته .

٣- عدم استخدام منهج الاستبطان مع من نقدر أنه لا يصلح معهم واستبداله بغيره .

أما أهم ما يحسب من ايجابيات لهذا المنهج ، فهو :

١- كثيراً ما يكون المنهج الوحيد لمعرفة الحقيقة بالنسبة لبعض الظواهر .
فمثلاً هو السبيل الوحيد لمعرفة الاحلام التى رآها النائم فى نومه .

وإذا وجدت مجموعه تأكل وواحداً ممتعاً عن مشاركتهم فأنت لا تستطيع أن تقطع بأن امتناعه هذا عن مشاركتهم الطعام راجع إلى أنه لا يحب هذا الطعام ، أو أن هذ اللون من الطعام ممنوع من تناوله بسبب مرض معين يعانىة ، أو أن شهيته معدومة لأسباب معينة ... إنك لاتستطيع معرفة الحقيقة فى مثل هذه الحالات إلا إذا أدلى بها الفرد نفسه .

٢- اعتمدت البحوث والآراء والنظريات النفسية فى كثير منها - على منهج الاستبطان . ولم تكن دعوة سقراط التى رفع فيها شعار " إعرف نفسك " سوى

تطبيق مباشر لفهم الذات ، ومعرفة حقيقة ما تنطوى عليه نفس الفرد وأبعادها المختلفة باستخدام هذا المنهج عن طريق تأمل الفرد لذاته . تعتبر طريقة الاستبطان الأساس الذى قام عليه قسم كبير وهام من الاختبارات والمقاييس النفسية التى تستهدف دراسة الشخصية وقياس خصائصها وسماتها ، مثل اختبار مينسوتا المتعدد الأوجه للشخصية .

٤- طريقة الاستبطان هى الأساس الذى تقوم عليه المقابلة كأداة أساسية من أدوات الأخصائى النفسى أو المعالج النفسى ، بل وأيضاً البشرى ، حيث يصف الفرد ما يحس به وما يشعر ، ومتى بدأت آلامه ومشكلاته ومتاعبه النفسية أو الجسمية وكيف تطورت ، والصورة التى آلت إليها بعد الاستمرار فى العلاج المعين .

(ب) منهج الملاحظة :

يقصد بالملاحظة قيام الباحث بملاحظة الظاهرة التى يريد دراستها ، وهى تحدث بتلقائية فى ميدانها الطبيعى ، ودون تصنع أو افتعال ، أو دون تدخل من جانب الباحث فى مسارها ، مع تسجيل دقيق لكل ما يلاحظه من ظروف وعوامل وملابسات تحيط بالظاهرة . ويستعين الباحث على دقة تسجيل ملاحظاته بكل ما يستطيع من أدوات التسجيل كالكاميرات والمسجلات والتصوير والتسجيل

السينمائي (والفيديو) هذا علاوة على تسجيل ملاحظاته كتابة ، أو على هيئة رسوم أو أشكال توضيحية .

ويمكن للباحث أن يطبق اختبارات نفسية ومقاييس شخصية ، ويعقد مقابلات مع من يرى أن له علاقة بالظاهرة . وأنه يمكنه إلقاء مزيد من الضوء على ما استغلق على الباحث من جوانب الظاهرة ، أو من أمور أثارها الملاحظة ...

هذا ويمكن تقسيم الملاحظة إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

١- الملاحظة الميدانية (أو الملاحظة في المجال الطبيعي) : وهي الملاحظة التي ينزل فيها الباحث إلى حيث تحدث الظاهرة في مجالها الطبيعي ويسجل ما يلاحظه ، وتمتاز بأن الباحث يمكنه أن يعاود ملاحظاته فيذهب إلى حيث تحدث الظاهرة مرة أخرى .

٢- الملاحظة بالمشاركة : وهي الملاحظة لجماعة أو لظاهرة بحيث يشترك فيها الباحث نفسه فيأخذ دوراً داخل الجماعة ، أو يسهم في تفاعلات الظاهرة مع غيره من أعضاء أو مشاركين في الظاهرة .

٣- الملاحظة الطارئه (أو العارضة) وهي التي تحدث بشكل طارئ دون أن يعد الباحث نفسه لها . فقد يتصادف مرور عالم نفسى أو عالم اجتماع بمكان يحدث فيه عراك بين شخصين ، فيقف على مقربة يلاحظ هذه الظاهرة ، ويصف

ماتم فيها وانتهت إليه وصفاً تفصيلياً ، وهذا النوع من الملاحظة شديد الأهمية ، حيث يكون المتاح الوحيد لدراسة بعض الظواهر .

تقييم لمنهج الملاحظة :

من أهم ميزات منهج الملاحظة هو دراستنا للظاهرة على طبيعتها ، وكما تحدث دون تصنع أو تكلف يفقدها الكثير من أصالتها وخصائصها الجوهرية التي قد تشوه إذا ما استحدثت الظاهرة استحداثاً مصطنعاً ، على نحو ما يحدث أحياناً في التجريب ، وكأننا أمام ظاهرة تمثيلية وليست طبيعية ، ظاهرة مفتعلة وليست حقيقية . هذا علاوة على إمكانية إعادة الملاحظة في غالبية الأحوال للتأكد من نتائجها ، باستثناء الملاحظة الطارئه كما سبق أن أشرنا .

(ج) منهج التجريب :

يعنى التجريب أن يقوم الباحث بإحداث الظاهرة التي يريد دراستها إحدائاً ، أو أن يتدخل في مسارها الطبيعي فيعدل في ظروف حدوثها ، أو يغير من عواملها أو مسبباتها بالزيادة أو النقصان ، أو بالحذف أو الإضافة...حتى يمكنه أن يقوم بدراستها وفهمها ، ومعرفة مختلف الظروف والعوامل التي تؤثر فيها أو تتأثر بها ، مما يجعلنا نستفيد من هذه المعرفة في التحكم في الظاهرة فنجعلها تحدث وفق ما نريد ، ومتى نريد . إذا ، فالتجريب هو قيام الباحث بالتحكم في

الظاهرة وضبط متغيراتها وعواملها وشروط حدوثها ضبطاً مقصوداً بهدف زيادة فهم الظاهرة ، وإثراء العلم بها .

والباحث فى المنهج التجريبي عليه أن يتبع بصفة عامة خطوات المنهج العلمى الأساسية مع بعض التعديلات البسيطة التى تفرضها طبيعة الظاهرة التى يقوم ببحثها ، وظروف بحثه ، واستعداداته الخاصة كباحث . وسوف يقوده حسه المنهجي فى كل ذلك . وهو الحس الى ينميه الفرد من دراساته لمنهج البحث ومن اطلاعه على خطوات المنهج العلمى التى اتبعها العلماء فى مجال تخصصه عند تناولهم لظواهرهم بالبحث والدراسة .

المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة :

فى كثير من الحالات لا يصح علمياً أن نقوم بدراستنا على مجموعة واحدة فنخرج منها بنتائج نطمئن إليها . فهناك المجموعة التجريبية وهى مجموعة المبحوثين الذين نجرب عليهم تأثير عامل معين أو ظرف معين فندخله عليهم : مثل تعاطى الدواء . أما المجموعة الضابطة فهى مجموعة مكافئة للمجموعة التجريبية فى العوامل والظروف الأساسية التى تؤثر على الظاهرة المدروسة باستثناء العامل أو الظرف الذى نريد التحقق من تأثيره ، حيث يغيب فيها أو

ينقصها ، وتشتق المجموعة الضابطة اسمها من كونها تضبط لنا الاستنتاجات التي نخرج بها من التجربة التي نجربها .

المتغير المستقل والمتغير المعتمد (التابع) :

يمتاز التجريب بأنه المنهج العلمي الوحيد الذي يؤدي بنا إلى الكشف عن العلاقات السببية بين الظواهر ، ونحن على ثقة كبيرة من صدق استنتاجاتنا فعند دراسة تأثير تعاطي الدواء على الشفاء ، يعتبر الدواء هو المتغير المستقل ، حيث أنه المتغير التجريبي الذي نريد أن ندرس تأثيره على غيره ، وليس تأثير غيره عليه ، في حين يعتبر الشفاء هو المتغير المعتمد أو التابع ؛ لأننا نريد أن ندرس في هذه التجارب مدى اعتماد الشفاء من هذا المرض على تعاطي هذا الدواء أو على الإيحاء ، فالمتغير المعتمد أو التابع هو الذي يزيد أو ينقص أو يتغير تبعاً لزيادة أو نقصان أو اختفاء المتغير المستقل ، وينبغي أن نشير إلى أن المتغير المستقل في دراسة قد يكون هو نفسه متغيراً تابعاً في دراسة أخرى .

تقييم لمنهج التجريب إن استقرأنا لتاريخ علم النفس يوضح أن الفضل في استقلال علم النفس عن الفلسفة كعلم خاص قائم بذاته إنما يرجع إلى اصطناعه للمنهج التجريبي ، إذ اتاح له الميزات التالية علاوة على بروزة كعلم محدد بعد أن

كان مجرد موضوع فلسفي :

١- إمكانية الضبط العلمى والتحكم الدقيقين فى الظروف والعوامل التى تؤثر على الظاهرة المدروسة ، حيث تتوافر هذه الامكانية فى المعامل مما يساعدنا على ضبط أعلى للنتائج ، ودقة أكبر فى الاستنتاج . وهكذا ، ترتفع الموضوعية إلى أعلى حد ممكن وتقل الذاتية .

٢- إمكانية إعادة نفس التجربة مرات عديدة للاطمئنان إلى صدق استنتاجاتنا .

٣- إجراء التجارب لايحتاج إلى كفاءات ولا إلى تدريب شاق كما هو الحال فى المناهج الأخرى وبالتالي يكون المنهج التجريبي سهلاً يمكن لمعظم الباحثين استخدامه .

٤- المنهج التجريبي أقدر المناهج جميعاً على حماية الباحث من التأثير بأهوائه وانحيازاته وعواطفه وهو يدرس الظاهرة النفسية ، وذلك عن طريق وسائل الضبط الموضوعية .

٥- يسمح لنا المنهج التجريبي بالاستعانة بمناهج البحث الأخرى ونحن نستخدمه فى دراسة الظواهر النفسية .

٦- منهج التجريب هو الوحيد الذى يسمح لنا باكتشاف العلاقات السببية ، ويمكننا من اكتشاف العلة والمعلول فى متغيرات الظاهرة وعواملها المختلفة بشئ أكبر من الثقة والاطمئنان إلى صواب الاستنتاج .

أما أهم ما يوجه إلى منهج التجريب من نقد فعله ما يلي :

١- أن كثيراً من موضوعات علم النفس وظواهره لا يمكن دراستها بالتجريب ؛ حيث إن كرامة الإنسان ، والمسئولية الجنائية المترتبة على أى ضرر يصيبه من جراء إجراء تجربة عليه ، من العوامل التى تقيد التجريب وتحدده فى كثير من الظواهر النفسية .

٢- أن تدخل المجرب فى مسار الظاهرة النفسية يفقد الظاهرة جوهر طبيعتها ويفسدها ، فيصبح المجرب وكأنه يقوم بدراسة شئ آخر غير الظاهرة المراد دراستها ؛ نظراً لما أصابها من تصنع وتكلف بسبب إحداثها أو التدخل التجريبي فى مسارها والرد على ذلك أن المجربين أنفسهم يتعدون عن الظواهر التى يفسدها التجريب ويستخدمون منهجهم التجريبي فقط فى دراسة الظواهر التى لا يفقدها التجريب أصالتها وجوهر طبيعتها .

(د) المنهج الاكلينيكي :

هناك حدود للتجريب على الانسان ، وقيود تقلل من كم الظواهر النفسية التى يمكن إخضاعها للدراسة التجريبية ، فنحن لانقوم بتعريض الانسان عمداً لصدمة نفسية شديدة لنرى تأثيرها على نفسيته ، لكن الظروف الطبيعية والبيئية والاجتماعية تمدنا بعدد لانهاى من الحالات التى تحدث لها صدمات نفسية ...

وهنا يستعيز الباحث النفسى بهذه الظروف التى نشأت تلقائياً ودون تعمد منه وليس له فيها دخل قصدى عن إجراء تجربة تحقق له نفس الشئ ، لكنه لا يستطيعها ؛ والمنهج الإكلينيكى يكاد يكون أفضل المناهج العلمية وأدقها ، وأقدرها على دراسة الظاهرة .

فالطريقة الاكلينيكية تعنى التركيز على دراسة الحالات الفردية التى تمثل الظاهرة المراد دراستها ، حيث يقوم الباحث باستخدام أدوات البحث النفسى المختلفة ، والتى تمكنه من دراسة حاله دراسة شامله حتى تصل به إلى فهم للعوامل العميقة فى شخصية المبحوث ، والتى تأثرت بالظاهرة موضع الدراسة أو أثرت فيها ، ولذا فالباحث بالمنهج الاكلينيكى قد يستخدم الاختبارات النفسية الاسقاطية وهى اختبارات تقيس أعماق النفس الانسانية دون الاكتفاء بما يظهر على السطح.

والباحث الاكلينيكى إذا ما استخدم اختباراً من طبيعة كمية ، لا يكتفى غالباً بذلك بل يجتهد للاستفاده منه استفادة كيفية أيضاً . ولما كان المنهج الإكلينيكى يمتاز بكل هذا العمق والشمول فإنه يتطلب جهداً ووقتاً كبيرين من جانب الباحث العلمى ، وبالتالي يصعب أن نطالبه بحجم كبير لعينة بحثه . ومن حسن الحظ

أن كلاً من الدقة والعمق والشمول فى الدراسة الإكلينيكية يعوض الضعف المتمثل فى صغر حجم العينة ويغطيه .

تقييم للمنهج الاكلينيكي :

يمتاز المنهج الاكلينيكي عن غيره من مناهج البحث النفسى بميزات ، لعل من أهمها :

١- قدرته على الوصول إلى أعماق النفس البشرية وإظهار خباياها وكشف مكوناتها ، وتلك أمور يصعب على غيره من المناهج تحقيقها . ولذا فإن المنهج الاكلينيكي يستخدم أساساً فى تشخيص وعلاج الاضطرابات والأمراض والانحرافات النفسية وكثير من المشكلات الاجتماعية السلوكية .

٢- قدرته على إعطاء صورة شاملة ومتكاملة عن الشخصية وجوانب قوتها ، ومواطن ضعفها .

٣- يمكن لهذا المنهج أن يستعان به فى تعميق نقطة معينة من نقاط بحث يستخدم له ؛ أى من المناهج الأخرى بصفة أساسية . كما يمكن أن يحدث العكس فيستعين المنهج الاكلينيكي ، الذى يستخدم بصفة أساسية لبحث ظاهرة معينة بمنهج ، من المناهج الأخرى التى تصلح لبحث نقطة معينة فى هذه الظاهرة .

ومع هذا ، توجد بعض المآخذ على هذا المنهج ، ربما يكون من أهمها :

١- أن المنهج الاكلينيكي يتطلب كفاءة عالية من جانب الباحث ، وتأهيلاً عالياً دقيقاً وخبرة واسعة وعلاوة على ذلك بصيرة نافذة وشخصية متزنة نفسياً إلى حد كبير . مما يجعل قلة من المتخصصين هم الذين يستطيعون استخدامه بكفاءة فى البحث . وهذا من شأنه أن يحد من عدد من البحوث والباحثين الذين يستخدمونه . ولا نعتقد أن هذا مأخذ جوهري يقلل من شأن هذا المنهج ، بل على العكس من ذلك ، إذا نظرنا إليه من الناحية الكيفية حيث الدقة والعمق .

٢- أن هذا المنهج لا توجد ضوابط محددة له . مما يسمح للذاتية أن تؤثر على نتائجه فتقل تبعاً لذلك الموضوعية ، والتي هى من أهم ركائز البحث العلمى وشروطه ، بمعنى أن نتائج البحث الذى يستخدم المنهج الاكلينيكي تعتمد على أهواء الباحث وردنا على ذلك أن الكفاءة العالية والتأهيل العالى الدقيق كشرط لا بد من توافرها فى الباحث الاكلينيكي ، سوف تعمل جميعها على تقليل الذاتية ورفع الموضوعية فى البحث الذى يستخدم الطريقة الاكلينيكية ، كما أنها تمكن الباحث من السرعة والدقة فى الوصول إلى الحقيقة التى يريد كشفها .

الفصل الرابع

العمليات العقلية

محتويات الفصل :

- الاحساس
- الانتباه
- الادراك
- التعلم
- الذاكرة والنسيان
- التفكير وحل المشكلات

الإحساس " Sensation "

الإحساس هو تلك العملية التي يتم عن طريقها اكتشاف المثيرات وتحديدها وتقديرها ويقتصر دور الاحساس على تزويد الفرد بالمعلومات بينما يقوم الإدراك بتفسير هذه المعلومات .

ولكى تتم عملية الإحساس لابد من توافر مثير مناسب لتلك الحاسة بشدة أو بدرجة كافية حتى تبدأ عملية الاستقبال ، ويقوم المستقبل (وهو عبارة عن نهاية عصب خاص بهذه العملية) بتلقى الاشارة ونقلها عبر الجهاز العصبى الطرفى (أو البدنى) إلى المخ فتتنشط الإشارة جزءاً معيناً من المخ الذى يسجل الإشارة كإحساس ومن ثم لا تتم عملية الإحساس إلا بعد وصول الاشارة إلى المخ .

وقد تم التمييز بين العتبات اللازمة للاحساس بوجود أو غياب مثير معين ، وتلك اللازمة لاكتشاف ما قد يحدث من تغير فى قيمة المثير . وهما :

١- العتبة المطلقة : معناها أدنى مستوى للمثير يستطيع أن يحدث إحساساً ، مثلاً أضعف ضوء تستطيع أن تراه ، وأخف صوت تستطيع أن تسمعه ، وقد استخدم مصطلح العتبة المطلقة أساساً لأنه كان يعتقد إنه عندما تزداد شدة المثير تحت العتبة (مثلا الضوء الضعيف جداً وغير المدرك) تدريجياً فسوف تصل الشدة إلى نقطة يصبح فيها الضوء مرئياً .

٢- العتبة الفارقة : تتدرج الاحساسات التي تنقلها الحاسة الواحدة من أقل درجة إلى أعلى درجة فإذا أخذنا الإحساسات الصوتية مثلاً نجد أن النغمة الواحدة من الممكن أن تصدر بدرجات مختلفة في الحدة .

وفي الاحساسات البصرية من الممكن أن يظهر اللون الواحد بدرجات مختلفة . ويمكننا تحديد درجة الخبرة الحسية على مقياس متدرج من أقل درجة إلى أعلى درجة . وقد رأيت النظريات المبكرة ضرورة وجود قيمة دنيا لانتغير للعتبة المطلقة لكل مثير ، كما أن ما يحدث من تغيير فيه حتى يصل إلى عتبه الفارقة لا بد وأن يتم بمقدار أو نسبة ثابتة بينما تذهب النظريات الحديثة إلى أن مثل هذه المفاهيم تعتبر ساذجة نسبياً . حيث أن قيم العتبة المطلقة والعتبة الفارقة قد تتغير بتغير عدد من العوامل . وقد تم التركيز على ثلاثة من هذه العوامل وهى :

١- الدافعية : حيث يختلف إحساس الفرد بالمثير باختلاف واقعيته تجاه هذا المثير . ففي حالة الشبع مثلاً لا يثيرك إعلان عن نوع معين من الطعام أو الحلويات بينما قد يثيرك نفس الإعلان في حالة الجوع .

٢- احتمالية حدوث المثير : غالباً ماتمدنا الخبرة السابقة بمعلومات حول مدى احتمال حدوث مثير معين في المستقبل مرة أخرى ، ومع ازدياد قوة احتمال حدوث المثير نتوقع أن تزداد قدرة الفرد على إكتشاف المثير . بينما إذا انخفض

هذا الاحتمال فرما يعنى ذلك أن الفرد قد يوجه طاقاته إلى مثيرات أخرى ويتجاهل ذلك المثير بالذات وهكذا تتغير قيمة العتبة تبعاً لتغير احتمالية حدوث المثير .

٣- المثيرات الرذيلة (أو العارضة) : غالباً ما نتعرض للعديد من المثيرات فى حياتنا اليومية ، وقد يكون بعض هذه المثيرات على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لنا ، وقد يكون البعض الآخر دخيلاً أو غير مناسب أو غير مرتبط بأهدافنا وهو ما يحدث تشويش يؤدي إلى ارتفاع قيم العقبات ومن ثم زيادة صعوبة اكتشاف أو الاحساس بالمثير الذى ننشده .

أنواع العمليات الحسية :

١- حاسة الإبصار :

يعتبر الإبصار من أكثر العمليات الحسية التى أولتها الدراسات والبحوث اهتماماً خاصاً . ومن الطبيعى أننا نبصر عندما تستقبل أعيننا مثير ضوئى ، ولكنك عندما تضغط بإصبعك على كرة العين فسوف ترى تهاويل ضوئية مختلفة الأشكال ، وذلك لأن هذا الضغط على كرة العين نبه العصب البصري والذى يوجد خلف العين مباشرة .

وتسير سلسلة الاستقبال البصرى وفق سياق عمليات الإحساس الأساسيه حيث تدخل الطاقة الضوئية إلى العين بالمرور خلال القرنية وإنسان العين ، والعدسة ، ثم تلتقط بواسطة مستقبلات الإبصار الموجودة فى مؤخرة مقلة العين فى الشبكية ، وهنا تتحول هذه الطاقة إلى إمكانية فعل أو نشاط وتنتقل عبر العصب إلى منطقة الإبصار فى المخ ، حيث تسجل وتفسر كمرئيات وتتكون الصور على الشبكية فى وضع مقلوب ولكن المخ يقوم بإعادتها إلى الوضع المعتدل مرة أخرى .

وحاسية شبكية العين بالنسبة للأضواء تكون ضعيفه عند الميلاد ، وتصل إلى قمة نضجها فى نهاية السنه الأولى حتى تصل فى كفاءتها إلى درجة حساسية شبكية عين الراشد .

٢ - حاسة السمع :

يشير السمع إلى قدرة الكائن الحى على استقبال الطاقة الميكانيكية فى صورة موجات صوتية وتنتج الموجات الصوتية عندما يهتز مصدر معين مسبباً ضغطاً وتخلخلاً فى الجزيئات المجاورة ، ثم تنتقل هذه الموجه (من الضغط والتخلخل) إلى مستقبلات السمع عن طريق بعض الأوساط وغالباً ماتكون جزيئات الهواء

بمثابة الوسط الناقل ورغم ذلك يمكن أن يمر الصوت عبر الغازات والسوائل والأجسام الصلبة الأخرى .

والوليد يستجيب للأصوات الحادة المفاجئة العالية ولا يستجيب للأصوات الخافته الضعيفة .

٣- الحواس الكيميائية :

(أ) حاسة الشم :

الأنف هو عضو الإحساس الشمى ، ويحدث الإحساس الشمى عندما يتعرض الإنسان لمثيرات خارجية لها رائحة تنتقل عن طريق الهواء إلى الأنف ثم إلى الخلف عن طريق المسالك السفلى ولا يصل إلى غرفة الأنف العليا إلا بعد أن يكون قد رشح واصبح دافئاً ، وفي هذه الغرفة يتصل بالنهايات العصبية الخاصة وهى مستقبلات الشم والتي تتجه إلى العصب الدماغى الأول وهو العصب الشمى ، ثم إلى المخ المتوسط ثم إلى مركز الشم فى الفص الصدغى فى قشرة المخ .

(ب) - حاسة التذوق :

اللسان والبلعوم هما حاستى التذوق عند الإنسان ، إلا أن اللسان أكثر حاسية ونشاطاً عن البلعوم . ويحدث التذوق باللسان من خلال براعم التذوق والتي ما هى إلا خلايا عصبية اسطوانية الشكل متجمعة ولها زوائد شعرية دقيقة الحجم تلامس السائل الذى يحتوي على الطعوم المختلفة وهذه البراعم تختلف فى نوعها ومناطق وجودها على اللسان فنجد أن طرف اللسان يحس بجميع المذاقات ولكنه حساس جداً بالنسبة للمواد المالحه التى تلامس جانبية ، أما قمة اللسان فهى أقل المناطق حساسيه حيث أن المواد المرة يمكن الإحساس لو وضعت أو وصلت إلى هذه المنطقة أما جانبي اللسان فيميزان جميع أنواع المذاق ولا يميز وسط اللسان أى مذاق .

ويفقد الإنسان تمييز الذوق إذا إصيبت حاسة الأنف وهذا ما يحدث في حالة الزكام ، حيث يفقد الإنسان المصاب بالزكام طعم الأكل أو الشرب . ولذلك نجد أن هناك علاقة وطيدة بين حاسة الذوق وحاسة الشم من حيث علاقتهما بالتغذية ، ويختلفان من الدلالة السيكلوجية فنجد أن خبرات الروائح المختلفة التى مرت على الإنسان تثير فيه انفعالات وذكريات معينة فى حين أن حاسة الذوق تعتمد على التلامس المباشر .

الحواس الجلدية :

تمدنا الحواس الجلدية بالخبرات الحسية عن طريق المستقبلات الموجودة فى الجلد وقد تم تمييز أربعة أشكال من الحواس تتمثل فى : الإحساس بالحرارة ، البرودة ، الضغط ، الألم . وهذه المستقبلات الحسية لا تتوزع بالتساوى على طول مناطق الجسم المختلفة حيث أن مناطق معينة مثل الوجه واليدين تحتوى على العديد من هذه المستقبلات أكثر من مناطق أخرى .

حواس الاحساس بالحركة :

توجد مستقبلات الاحساس بالحركة فى العضلات والمفاصل والأوتار وهى تمد الفرد بالمعلومات عن نشاط الجسم ، وموضعه وهذه بدورها تساعد فى عملية التناسق الحركى ، ويعتمد نوع المستقبلات التى يتم إستثارتها على اتجاه وزاوية الحركة . ويتم تسجيل وتفسير الإشارات التى تنقلها مستقبلات الإحساس بالحركة فى المخ مثلما يحدث مع الحواس الأخرى .

الإتزان :

توجد مستقبلات الإتزان فى الأذن الداخلية التى تلى الجهاز السمعى وتتكون من ثلاث قنوات شبه دائرية والجيوب الدهليزية . وهى تحتوى على خلايا شعيرية تستجيب للتغيرات فى وضع الجسم . حيث يتحرك السائل الموجود فى القنوات

شبه الدائرية مع تحرك الجسم مؤثراً في المستقبلات . وتستجيب الخلايا الشعيرية للجيوب الدهليزية لوضع الجسم . أو اتجاهه كما هو الحال عندما يكون الفرد في حالة راحة مثلاً.

الآن وبعد أن عرضنا لأنواع العمليات الحسية وتعرفنا عليها نعرض للوظائف الهامة التي تقوم بها الاحساسات البصرية والسمعية واللمسية والحركية للكائن الحي ، هذه الوظائف يمكن تلخيصها في عدة نقاط كالتالي :

- ١- هي مصدرنا الوحيد في الحصول على معرفتنا ومعلوماتنا عن العالم ، فمن خلال المعلومات الحسية المجتمعة يستطيع العقل بعد ذلك ، أن يقوم بالتحليل والشرح والتجريد وربما التخيل والابداع .
- ٢- وقاية الكائن الحي من الأخطار التي تهدده .
- ٣- معرفة الاتجاه تتوقف قدرة الانسان على وعيه بالمكان على الأعضاء الحسية . وقد لاحظ العلماء أن الأشخاص الذين يولدون مصابين بالصمم مثلاً لا يجسرون على السباحة تحت الماء (الغطس) وذلك لأن الإحساس بالاتجاهات العمودية للجسم عمل من شأن الأذن الداخلية . وإفتقاد الأذن لدي الصم يعرضهم لإخطاء إدراك اتجاه الجسم .

٤- التذوق : بالرغم من أن علماء الجمال يعتقدون أن تذوق الشيء الجميل عمل يتوقف قدرتها العقلية والمعرفية وعلى التمييز الحساسة والحكم ، فإن هناك جانباً كبيراً من التذوق الجمالي يعتمد علي ما تأتينا به ، وظائفنا الحسية . فالموسيقي مثلا تأثيرها الهرموني اعتماداً علي قدرة الأذن في التمييز بين درجات الصوت المختلفه ويمتد مدي

الخبرات الحسية من مجرد الإحساس البسيط بالأصوات أو الألوان إلي العمليات المركبة الخاصة مثلا بتذوق قطعة موسيقية أو نوع من الطعام . أما متعة الإحساس بشروق الشمس أو غروبها لهذا فمن المعقول أن يميزو علماء النفس بين مستويين من الإحساس :

أ- الخبرات الحسية البسيطة التي يعتمد الإحساس بها علي تنبيه عضو واحد.
ب- الخبرات الحسية المعقدة والتي يعتمد الإحساس بها على التضافر والتفاعل بين أنماط متعددة من التنبيه فضلاً عن الخبرة السابقة للكائن ، واتجاهاته الراهنة. ويميل السيكولوجيون إلى معالجة النوع الأول من الخبرات تحت موضوع الإحساسات ، أما النوع الثاني فهو ما يطلق عليه الإدراك ، وبذلك يكون الإحساس دراسة لقدرة الكائن على الاستجابة لبيئته الخارجية والداخلية وبالتالي فهذه القدرة هي نقطة البدء لمعظم سلوكه .

وفى نهاية كلامنا عن الإحساس نقرر أن حواس الكائن الحي وخاصة الإنسان هي المنافذ التي توصل إليه المؤثرات المختلفة وبدونها لا يمكن من التفاعل مع بيئته تفاعلاً سليماً ، لذا تعتبر الخبرات الحسية التي تأتي عن طريق الحواس أساساً لردود أفعال الانسان ، وعليها تتوقف معرفته بنفسه وبجسمه وبيئته الداخلية والخارجية .

الانتباه : " Attention "

تعريف الانتباه وطبيعته : هناك تعريفات عديدة لمفهوم الانتباه : منها على حد قول " ميلفن ماركس " :

١- أنه وضوح الوعي أو بؤرة الشعور وهذا التعريف يمثل وجهة النظر الاستبطانية.

٢- ومنها الانتباه استعداد لدى الكائن الحي للتركيز على كيفية حسية معينة مع عدم الإنتقالات للتببيات الحسية الأخرى .

٣- كذلك ينظر للانتباه على أنه مجموعه من الاستعدادات الحركية التي تسمى أحياناً بالوجهات الحركية التي تيسر استجابة الكائن الحي .

وهكذا يمكن أن ينظر إلى الانتباه أيضاً باعتباره نوعاً من التهيؤ الذهني للإدراك الحسى حيث يشير اصطلاح التهيؤ أو الوجهة الذهنية إلى استعداد خاص داخل

الفرد يوجهة نحو الشئ الذى ينتبه إليه لكى يدركه فالطالب مثلاً ، يكون مهياً
للإنصات للمحاضرة بحيث لا يصرفه عنها منبه آخر مهما علا صوته ومهما
كان بريقه .

ورغم تعدد تعريفات الانتباه فإن أهم خصائصه تتمثل فى كل من : الاختيار أو
الانتقاء والتركيز . فالتركيز سواء كان موقفياً أو متواصلاً يمثل مستوى عالياً من
الانتباه ، وهو إرادى يتمثل فى اتجاه الشخص بفاعلية أو ايجابية ، واهتمام إلى
اشارات أو تنبيهات حسية معينة ، وإهمال إشارات أخرى ، ويكون دائماً قصدياً
أو بؤرياً .

ولأن العالم الخارجى يموج بأشئآت من المنبهات الفيزيقية والحسية المختلفة ،
البصرية والسمعية والشمية والذوقية وغيرها من المنبهات الاجتماعية ، ولأن جسم
الإنسان نفسه يعد مصدراً لكثير من المنبهات الصادرة من أحشائه وعضلاته
ومفاصله . ومن الملامح السيكولوجية الأخرى التى يكشف عنها الانتباه ،
التعقب أو الاقتفاء ، وهذا الجانب كما يعرض له " ليزاك " يتضمن انتباهاً متصلاً
" غير منقطع " لمنبه ما ، أو تركيزاً على تسلسل موجه للفكر عبر فترة زمنية .
والمستوى المعقد فيه يبدو فى القدرة على التفكير فى فكرتين أو أكثر ، أو نمطين
من المنبهات أو أكثر فى آن واحد ، وعلى نحو متتابع دون خلط بينهما ، أو

فقدان لأحدهما . وهذا البعد يعد ضرورياً فى حل المشكلات التى تقتضى تداعياً متسلسلاً مثل الحساب المركب أو نسج خيوط قصة معقدة .

ومن المظاهر التى يحتوئها هذا المفهوم أيضاً ، عملية الإحاطة وهى من العمليات السيكلوجية ذات الأساس الحسى والتى غالباً ماتكون بصرية أو سمعية ، وهى تتمثل إما فى تحركات العينين معا عبر المكان أو المنبه أو الصورة التى تواجه العين ، فالإحاطة أشبه بعملية مسح للعناصر التى توجد بهذا المكان أو الأصوات التى تصدر الآن .

خلاصة القول : أنه إذا كان الإحساس يتمثل فى استقبال أحد أعضاء الحس (الفم أو الأذن أو الأنف .. إلخ) لتتبيه معين من البيئه الخارجيه أو الداخليه ، مثل احتكاك الموجات الضوئية بطبلة الأذن وإحداثها نوعاً من التشويش الذى لا تلتفت إليه عادة وتعمل الحواس فى نشاط دائم متزامنه فى نفس الوقت ويطلق على العملية التى نصح من خلالها ، على وعى بتتبيه معين " عملية الانتباه " الذى يتمثل فى عملية التركيز والاختبار الذى يتم بشكل إرادى أو غير إرادى .

أنواع الانتباه :

يقسم الانتباه من حيث منبهاته إلى أقسام ثلاثة هي :

(١) الانتباه اللاإرادي :

يحدث حينما تفرض بعض المنبهات الخارجية أو الداخلية ذاتها علينا ، كما يحدث كثيراً مثلاً ، عندما نسمع صوت انفجار فإننا ننتبه بطريقة لا إرادية . ويتميز هذا النوع من الانتباه بأنه لا يتطلب مجهوداً ذهنياً منك ، بل على العكس . فإنه يشد انتباهك لمنبهات شديدة كالأصوات أو الأضواء الشديدة والروائح النفاذة . هنا يفرض المنبه نفسه علينا فرضاً ، فيرغمنا على اختياره والتركيز عليه دون غيره من المنبهات.

(٢) الانتباه الإرادي :

يحدث الانتباه الإرادي حينما نتعمد بإرادتنا توجيه انتباهنا إلى شيء ما . ويتطلب هذا النوع من الانتباه مجهوداً ذهنياً ، كانتباهك إلى محاضرة أو إلى حديث جاف أو يدعو إلى الضجر . وأنت حينما تركز انتباهك في استذكار دروسك وحصص حواسك وتفكيرك في الموضوع الذي تقرأه ويستلزم استمرار هذا الانتباه الإرادي مدة طويلة ، وهذا النوع من الانتباه لا يقدر عليه الاطفال إذ ليست لديهم القدرة والصبر ، وليس لديهم من قوة الإرادة ما يحملهم على بذل الجهد واحتمال المشقة

الوقتية فى سبيل هدف أبعد . لذا يجب أن تكون الدروس التى تقدم لهم قصيرة شائقة أو ممزوجة بروح اللعب .

(٣) الانتباه الاعتيادى (أو التلقائى) :

يشار إلى الانتباه الاعتيادى بأنه التركيز المعتاد لوعى الفرد ، وهو انتباه لا يبذل الفرد فى سبيله جهداً ، بل يمضى سهلاً طبيعياً . ويسمى هذا النوع من الانتباه الاعتيادى ، ذلك لأن عادتنا التى اكتسبناها من خبراتنا السابقة هى التى تحدد المواقف التى نستجيب لها بمثل هذا النوع من الانتباه فعالم الطبيعة ، مثلاً يشعر بمتعة وهو يقضى ساعات طويلة فى قراءة موضوعات متعلقة متخصصة دون حاجة إلى بذل مجهود كبير ، بينما يبذل الشخص غير المتخصص كثيراً من الجهد لتتبع هذا الموضوع وفهمه . وهكذا ينتبه عالم السلوك إلى تصرفات الآخرين ، وخلاصة القول أن كل إنسان فى هذا النوع من الانتباه ، ينتبه إلى الأشياء التى اعتاد من قبل الاهتمام بها ، والتى تتفق مع عاداته وميوله واهتمامه.

-المتغيرات المؤثرة فى الانتباه :

تنقسم العوامل المؤثرة فى الانتباه " أى التركيز واختيار منبهات بعينها " إلى

قسمين :

(أ) المحددات الخارجية للانتباه :

كانت ملامح التنبيه التي تجذب الانتباه موضع بحوث عديدة ، وقد شجع على إجراء هذه البحوث ، ورغبة مؤسسات الإعلان في المجتمعات الغربية بوجه خاص التوصل إلى وسائل فعالة تجعل منتجاتها أكثر من خلال استخدام أمثل الأساليب في جذب الانتباه كما اهتمت الأحزاب بل والدول بتحسين الأساليب الدعائية والإعلانية . وتتمثل أهم المحددات الخارجية لجذب الانتباه في كل من:

١ - الحركة " Movement "

النظر إلى الأشياء المتحركة يجذب انتباه الإنسان ، واكتشاف الحركة يجعل الحركة تمثل تنبيهاً يتسم بفاعلية ذات طابع خاص في الليل حيث تكون الخلايا العضوية أكثر فعالية . لهذا فإن الأشخاص يتعرضون أثناء المرور بشوارع المدينة ليلاً لأكبر عدد من اللافتات الإعلانية المتحركة ذات التنوع المذهل الذي يتمثل في أسهم خاطفة ، وأشكال متحركة متنوعة .

٢ - شدة المنبه : " Intensity "

الواقع أن انتقاء المعلومات لا يحدث بشكل عشوائي ، فشدة منبه ما من شأنها أن تجذب الانتباه إليه دون غيره من المنبهات الأقل شدة ، وبالتالي فالضوضاء

الصاخبة والألوان الزاهية والروائح النفاذة ، والضغط الزائد على الجلد ، كلها تمثل منبهات شدة.

٣- الجدة أو الحداثة " Novelty "

المنبهات الجديدة التي تدخل في خبرة الشخص لأول مرة تجتذب انتباهه أكثر من المنبهات المألوفة لديه ، وعلى ذلك فأى حدث شاذ أو مغاير للمألوف كفيل بأن يثير انتباهنا أكثر من غيره ، ومن ثم فإن استخدام الحرف الطباعى المائل فى كتاب ما ، إنما قصد به لفت نظر القارئ إلى المفاهيم الرئيسية بطبع الكلمات الدالة عليها فى هذه الصورة المغايرة . ولذلك كان تقديم المادة الدراسية بمختلف الطرق والأساليب الممكنة من شأنه أن يجذب انتباه الأطفال إلى المعلومات المقدمة .

٤- طبيعة المنبه :

يختلف انتباهنا باختلاف طبيعة المنبه . ونقصد بطبيعة المنبه نوعه وكيفيته ، أى هل هو منبه بصرى أو سمعى أو شمى مثلاً ، وهل المنبه البصرى صورة إنسان أو حيوان أو جماد ، وهل المنبه السمعى قصة أو غناء ، أو قطعة موسيقية . وقد تبين من الدراسات التى أجريت فى هذا المجال أن الصورة أكثر إثارة للانتباه من الكلمات ، وأن كلام الشعر أكثر إثارة للانتباه من كلام النثر .

٥- تغيير المنبه :

المنبه المتغير أكثر لفتاً للانتباه من المنبه الذي يظل ثابتاً على حالة واحدة أو على سرعة واحدة فمثلاً من أهم شروط الفيلم السينمائي الجذاب تغير المناظر وإيقاع الحركة والكلام واللقطات ، كما أن تغير إيقاع صوت المحاضر يساعد على انتباه الجمهور .

٦- موضع المنبه :

تبين من عدد الدراسات أن القارئ العادي أميل إلى الانتباه إلى النصف الأعلى من صفحات الجريدة التي يقرأها منه إلى الانتباه إلى النصف الأسفل ، وكذلك إلى النصف الأيمن منه إلى النصف الأيسر . كذلك يتبين أن الصفحتين الأولى والأخيرة أجدب للانتباه من الصفحات الداخلية . وقد استفاد من ذلك متخصصوا الاعلانات فجعلوا إعلاناتهم بارزة في هذه المواضع دون غيرها .

٧- حجم المنبه :

يعد الشيء الأكبر حجماً أكثر للانتباه من الأشياء الأخرى الأصغر حجماً وقد فطن المتخصصون في فن الإعلانات إلى هذه الحقيقة فاستعانوا بها في الإعلانات التجارية وغير التجارية .

٨- التباين أو التضاد :

كل شئ يختلف اختلافاً كبيراً عما يوجد فى محيطه من الأرجح أن يجذب الانتباه إليه ، فالإعلانات التليفزيونية تجذب الانتباه أكثر إذا كانت ذات خطوط بيضاء وخطوط سوداء ، وكذلك الحال النقط الحمراء تبرز فى مجال انتباهنا إذا كانت وسط أرضية بيضاء .

٩- إعادة العرض :

إعادة عرض المنبه تؤدي إلى إثارة الانتباه . ولذلك ، فإن تكرار الإعلان التجارى عدة مرات فى اليوم يؤدي إلى انتباه الناس إليه . وتكرار الإعلان على مسافات مختلفه فى الطريق يثير انتباه سائقى السيارات . غير أن التكرار الكثير يؤدي إلى الملل . لذلك يلجأ المتخصصون فى فن الإعلان إلى تكرار الفكرة فى إطار مختلف لتجنب الملل .

١٠- الاعتياد أو التنبيهات الشرطية :

التنبيهات التى تكونت الاستجابة لها عبر خبرات مثل : اسم الشخص أو بلده ، أو عبارات أو لهجة مألوفة له ، تثير الانتباه رغم ماقد يحيط بصدورها من صخب أو ضوضاء .

(ب) المحددات الداخلية للانتباه :

هناك عوامل داخلية مختلفه ، مؤقتة أو دائمة ، تهيئ الفرد للانتباه إلى موضوعات خاصة دون غيرها ، فمن أهم هذه المحددات الداخلية للانتباه :

١- الدوافع

لدوافع الإنسان وحاجاته ورغباته المختلفه أهمية كبيرة فى توجيه انتباهه إلى الأشياء والمواقف والأحداث الملائمة لإشباعها ، فالجائع فى طريق عام يكون أكثر انتبهاً إلى لافتات المطاعم وروائح الأظعمه ، والعطشان أكثر انتبهاً إلى الماء والمشروبات الأخرى التى تروى ظمأه .

٢- التهيؤ أو الوجهه الذهنية :

فإذا كنت تريد كتاباً محدداً كان أول شئ تراه فى المكتبة التى تدخلها ، كذلك نرى الطالب المجد حساساً للإنصات والمناقشه ، وأهل الصحراء حساسين لنزول المطر ..إلخ .

ومن العوامل الدائمة ، الدوافع الهامة والميول المكتسبة التى تعتبر تهيؤاً ذهنياً دائماً للتأثير ببعض المنبهات والاستجابة لها ، نعرض لها فيما يلى :

٣- مستوى الحفز والاستثارة الداخلية :

لابد من توافر مستوى من الحفز أو الاستثارة الحافزة التي تحرك طاقة الفرد لكي يتم جذب الانتباه لتنبه معين ، ويرتبط الحفز بالانتباه ارتباطاً منحنياً بمعنى انخفاض الانتباه إذا انخفض الحفز ، ويزداد الانتباه مع تزايد الحفز ولكن إذا تجاوز مستوى الحفز حداً معيناً من الارتفاع وصار نوعاً من التوتر النفسى هبط الإزدياد مع شدة ارتفاعه .

٤- الاهتمامات والميول :

تعد اهتمامات الأفراد وميولهم ، ودوافعهم من أهم المحددات الداخلية للانتباه فانتهى الشخص لبعض موضوعات فى البيئه المحيطة به أو الأحداث التي تحدث حوله إنما تتحدد من خلال اهتماماته ودوافعه وقيمه ، وعلى هذا فإن الشاعر الذى يهتم بمصطلحات الشعر ستختلف الجوانب التي تلفت انتباهه فى تسجيلها عن تلك التي يهتم بها عالم اللغة الذى يهتم بطبقات الصوت وأساليب النطق...إلخ .

٥- الراحة والتعب :

يرتبط التيقظ والانتباه بالراحه ، على حين يؤدي التعب إلى نفاذ الطاقة الجسمية والعصبية وضعف القدرة على تركيز الانتباه ويحل التعب إذا انهمك الجسم فى

نشاط متواصل أو عن طريق الإفراط فى استعمال إحدى الحواس ، والطفل الذى لم ينل حظاً وافراً من النوم ، أو انهكه نشاط بدنى أو ذهنى متواصل يكون أقل انتبهاً داخل حجرة الدراسة .

مشتمات الانتباه :

يشكو بعض الناس من شرود انتباههم ، بدرجات متفاوتة أثناء العمل أو الحديث أو القراءة أو مذاكرة الدروس إن كانوا طلاباً ، ويمكن تلخيص أهم مشتمات الانتباه فى مجموعة من المتغيرات ، تتمثل فيما يلى :

١ - المتغيرات النفسية :

كثيراً مايرجع تشتت الانتباه إلى عوامل نفسية كعدم ميل الطالب إلى المادة وبالتالي عدم اهتمامه بها ، أو انشغال فكره وتركيزه الشديد فى أمور أخرى (رياضية أو اجتماعية أو عائلية) ، أو إسرافه فى التأمل الذاتى واجترار المتاعب والآلام .. وهنا يجب التمييز بين شرود الذهن حيال مادة دراسية معينة أو موضوع معين وبين الشرود العام مهما اختلف موضوع الانتباه ذلك أن الشرود الاضطرارى الموصول كثيراً مايتى نتيجة لأفكار وسواسية تسيطر على الفرد وتقرض نفسها عليه فرضاً فلا يستطيع أن يتخلص منها بالإرادة أو يبذل الجهد مهما حاول ، كأن تستحوذ عليه فكرة مؤداها أن الناس تضطهده أو أنه مصاب

بمرض معين أو أنه مذنب آثم ، أو أن الفتيات ينفرن منه ولا يحببن الحديث معه . فى هذه الحالة يكون شرود الذهن عرضاً لاضطراب نفسى ويكون علاجه على يد طبيب نفسى . أما بذل الجهد للخلاص من هذا العرض فلا يجدى شيئاً لأنه يجعل الفرد يركز على الجهد لا على العمل ، وفى هذا ما يصرفه عن العمل نفسه .

٢ - المتغيرات الجسمية :

قد يرجع شرود الانتباه إلى التعب والإرهاق الجسمى وعدم النوم بقدر كاف أو عدم الانتظام فى تناول وجبات الطعام أو سوء التغذية أو اضطراب إفرازات الغدد الصماء . هذه العوامل من شأنها أن تنقص حيوية الفرد وأن تضعف قدرته على المقاومة بما يشئت انتباهه . وقد لوحظ أن اضطراب الجهازين الهضمى والتنفسى مسئول بوجه خاص عن كثير من حالات الشرود لدى الأطفال .

٣ - المتغيرات الاجتماعية :

قد يرجع الشرود إلى عوامل اجتماعية كالمشكلات غير المحسوسة أو نزاع مستمر بين الوالدين أو عسر يجده الفرد فى صلاته وعلاقاته الاجتماعية أو صعوبات مالية ، أو متاعب عائلية مختلفة ، مما يجعل الفرد يلتجئ إلى أحلام اليقظة يجد فيها مهرباً من هذا الواقع المؤلم .

٤ - المتغيرات الفيزيائية :

من هذه الظروف عدم كفاية الاضاءة أو سوء توزيعها بحيث تحدث الجهر "الزغله" ومنها سوء التهوية وارتفاع درجة الحرارة والرطوبة ومنها الضوضاء . فالضوضاء المتواصلة تأثيرها أقل من الضوضاء المتقطعة أو غير المألوفة ، كما أوضحت التجارب أن الأعمال العقلية بوجه عام تتأثر بالضوضاء أكثر مما تتأثر بها الأعمال الحركية البسيطة . إن تأثير الضوضاء فى الفرد يتوقف على وجهة نظره إليها ودلالاتها عنده . فإن كان يرى أنها شئ ضرورى لا بد منه ولا يتم العمل بدونه كضوضاء آلات المصانع بالنسبة للعمال ، لم تكن مصدر ازعاج كبير له فى انتاجه . أما إن شعر العمال أن الضوضاء ترجع إلى عدم اكتراث إدارة المصنع براحتهم ، كانت مصدر ازعاج وتشتيت ، أى أن الانسان يستطيع أن ينتج فى الضوضاء قدر ماينتجه فى الهدوء ، بشرط أن تكون دوافعه إلى العمل قوية ، وأن يبذل جهداً يزداد بازدياد الأثر المشتت للضوضاء .

بقى أن نؤكد دور الانتباه فى كل من :

(أ) عملية الادراك الحسى : حيث يسبق الانتباه الادراك ويحدد كيفية حدوثه.

(ب) عملية التذكر : حيث يلعب الانتباه دوراً رئيسياً فى بقاء الصور الحسية

فى مرحلة التذكر الفورى والحسى .

الادراك " Perception "

يعرف الادراك الحسى بأنه عملية يتم بها شعورنا بالبيئه المختلفة المحيطة بنا وبأنفسنا عن طريق تنظيم وتفسير الإحساسات المختلفة التى تمدنا بها حواسنا المختلفة .

فالإدراك الحسى هو عملية تفسير للإحساسات ، وهذا التفسير يمدنا بمعلومات عما ندركه فى العالم الخارجى من أشياء . ونحن ندرك أشياء منفصله ، فنحن ندرك أفراداً يسيرون فى الطريق وهذا الطريق به عربات وبيوت وأفراد آخرين وحيوانات ، كل هذه منفصلة عن بعض ومتمايزه ، كما أننا ندرك أشياء تتطوى على دلالة ومعنى فإذا رأيت لوحة فنية فإننى لا أدركها كمجموعه ألوان وخطوط ، إنما لها معنى ودلالة .

ونحن ندرك هذه الأشياء وفق قوانين خاصة هى قوانين التنظيم الحسى ، وهذه تقوم بتنظيم المنبهات الحسية فى وحدات وفى صيغ مستقلة تبرز فى مجال إدراكنا ثم تأتى خبرتنا المتعلمة فتعطى لهذه الصيغ معانى ودلالات إذن فالإدراك إنما يقوم على دعامتين أولاً تنظيم حسى كما ندركه ونحسه ثم تأويل لما ندركه ولما نحسه . ففى الادراك الحسى الإنتقاء للنتبيهاات الحسية ثم تنظيمها فى سياق

ذى معنى وهاتان العمليتان الانتقاء "الاختيار" ، والتنظيم هما العمليتان الرئيسيتان فى عملية الإدراك الحسى .

أهمية الادراك الحسى :

للإدراك الحسى أهمية كبيرة فى توجيه السلوك الإنسانى ، خاصة فيما يتعلق بعملية التكيف وعمليات حل المشكلات وعمليات التنشيط والاستثارة التى التى تحدث فى الجهاز العصبى المركزى ، فلأن هناك علاقة وثيقة بين الإدراك والسلوك . فنحن نستجيب للبيئة لا كما هى عليه فى الواقع بل كما ندركها وفقاً للبيئة السيكولوجية لا البيئة الواقعية أى أن سلوكنا يتوقف على كيفية إدراكنا لما يحيط بنا من أشياء وأشخاص ونظم اجتماعية .

كذلك يؤدى الإدراك الحسى دوراً حيوياً فى عمليات حل المشكلات لأن وظيفة الإدراك تمثل المدخل الأساسى والاطار الثابت الذى يؤدى إلى حل المشكلة أو يؤخر حلها . وكثيراً ما يغلب هذا الإطار الإدراكى على سلوك حل المشكلات لأن المفاهيم والمبادئ ما هى إلا صيغ معرفية تعلن عن الوصول إلى الحل الصحيح والطريق السليم لحل مشكلة ما هو إلا تحديد كيف يمكن إدراك هذه المشكلة وفهم متطلباتها وعندئذ سوف نجد الحل سريعاً .

الادراك الحسى كعملية عقلية تحليلية :

لما كان الادراك الحسى عملية عقلية متشابكة الجنبات يكتنفها الغموض والتعقيدات بما تحويه من عمليات حسية ورمزية وإنفعالية ، وجب علينا أن نقوم بتحليل هذه العملية العقلية فنقول :

أولاً : العمليات الحسية :

يشمل الادراك الحسى تنبيه الخلايا المستقبلية بالمنبهات الحسية الواقعة عليها من عالمنا الخارجى وهنا لا يركز الإدراك الحسى على إحدى الحواس منفردة ، بل إنه ينبه مجموعة حواس فى وقت واحد مثال ذلك نحن لا نرى الشئ فقط فى حد ذاته ، بل نراه ونسمعه ونشمه ونتذوقه وقد نلمسه أيضاً .

ثانياً : العمليات الرمزية :

ونعنى بها تلك الملامح والصور الذهنية والمعانى الحسية التى يثيرها فينا الاحساس حيث أن التنبيهات الحسية تترك بصماتها على جهازنا العصبى بحيث يصبح أثر هذه الندوب تلميحاً للإحساس وليس تصريحاً للموضوع الأسمى ، أى أن صورة الشئ أو رمزه تكفى لإدراكنا لأصل هذا الشئ ، فعندما أمعن النظر فى صورة صديقى الفوتوغرافية ، استحضر فى ذهنى صورة هذا الصديق ولكنها صورة خافته غير متماسكة . ولئن حاولت استحضار الصورة المعنوية لصديقى

فمعنى ذلك تذكر مواقفه معى وتعاونه مع الآخرين وخصائص شخصيته وطريقة حديثه وهكذا ، ومجمل القول أن الصورة الذهنية هى التى تمثل الأشياء الأصلية.

ثالثاً: العمليات الإنفعالية :

ونقصد بها أثر الخبرات السارة أو المؤلمة فى عملية إدراكنا الحسية للأشياء أو الأشخاص فقد يتذكر أحد الأشخاص حادثة له فى يوم مطير من أيام الشتاء وترتبط هذه الحادثة بمرض أصابه ويشعر نحو هذه الحادثة بحالة إنفعالية معينة ويحاول أن ينساها وهنا تتضمن عملية الإدراك الحسى الجانب الانفعالى.

عوامل تنظيم عملية الإدراك الحسى :

هناك تنظيمات إدراكية حسية تحدث عند جميع الناس على اختلاف ثقافتهم وحضارتهم وميولهم واتجاهاتهم وأعمارهم حيث يستجيبون للتنبهات الصادرة من البيئة الخارجية بطريقة تؤكد لنا بأن خصائص التنبه واحده بالنسبة للناس جميعاً على وجه التقريب ، ويمكن أن نتصور بأن ثمة تنظيمات إدراكية لا بد من اتباعها فى حياتنا النفسية ولهذا السبب نطلق عليها التنظيمات الإدراكية الفطرية أو العوامل الموضوعية ومنها على سبيل المثال لا الحصر التنظيمات التالية :

١ - الشكل والأرضية " Figure and Ground "

نعيش فى بيئة طبيعية مملوءة بالناس والأشياء والموضوعات والجمادات والنبات وكل هذا يتعامل مع تنظيم مدركاتنا البصرية التى نشاهدها على هيئة شكل وأرضية وفى حياتنا النفسية والاجتماعية والفيزيقية ، العديد من أنماط الشكل والأرضية . فالمحاضر أمام طلابه يعتبر شكلاً والطلاب أرضية . وفريق الكره فى الملعب نعتبره شكلاً وجمهور المشاهدين أرضية . وهكذا فى كل مناحى الحياه .

٢ - التقارب " Nearness "

لو أدركنا لوحة ورقية بها مجموعة من الرسوم الهندسية عباره عن دوائر صغيره بين كل دائرتين نصف سنتيمتر ودوائر كبيرة بين كل دائرتين منها خمس سنتيمترات ، وهنا ندرك الدوائر الصغيرة بسهولة ويسر لعامل تقاربها بينما الدوائر الكبرى ذات المسافات البعيدة بينها لا تدخل ضمن تنظيم مدركاتنا البصرية .

٣ - التشابه " Similarity "

فالوحدات المتشابهة تشكل صيغة متميزة لتشابه وحداتها ففى حجرة الدراسة التى تحتوى على عشرة صفوف ومقاعد التلاميذ لو أن خمسة صفوف من التلاميذ كانوا فى حالة وقوف والخمسة الباقية فى حالة جلوس لرأينا التلاميذ الواقفين

يشكلون صيغة أعمدة يمكن رؤيتها وإدراكها بسهولة عن باقى التلاميذ الجالسين الذين يشكلون صيغة صفوف يصعب رؤيتها لعدم تشابه وحداتها .

٤ - الإستمرارية " Continuity "

فى عالمنا الخارجى من السهل علينا - طبقاً للمدركات السمعية - سماع محاضرة علمية شيقة متصلة الجوانب العلمية واللغوية عن محاضرة بتراء ناقصة منفصلة الجوانب كالتى ذكرناها آنفاً ، كما يسهل علينا - طبقاً للمدركات البصرية - مشاهدة طابور طويل من التلاميذ فى فناء المدرسة ، عن جماعات من التلاميذ مكونة من ثلاث أو أربع تلاميذ ، حيث الطابور يتسم بخاصية الاستمرار والاتصال بينما تشكل جماعة تلاميذ من ثلاثة أو أربعة تلاميذ صيغة غير مستمرة أو متصلة .

٥ - التكميل " Closure "

يهتم مهندسوا الديكور بعامل الإغلاق فى عمل ديكور المنزل وما به من ثغرات أو الفراغات فى الجدران أو الكراسى أو الستائر أو النوافذ ، كما يلعب الإغلاق دوراً كبيراً فى عالم المدركات السمعية عندما يقف بنا المخرج الإذاعى عند حدث فى المسلسل يشد انتباه وإدراك المستمعين ثم يقطع هذا الحدث لحلقة قادمة أى

أنه تعمد أن يترك المستمع في فراغ المدرك السمعى كعنصر تشويق. ٦-

" Inclusiveness " الشمول

عند مشاهدتنا لأحد " ماكيتات " رسم مجسد لمنزل جديد فإننا لانرى كل حجرة على حدة ولكننا ندرك المنزل إدراكاً شاملاً كاملاً طبقاً لمدركاتنا البصرية الفطرية.

٦- الخداعات البصرية " Illusion "

مثل اعتقادنا بأن كيلو جرام صوف خفيف فى الوزن عن كيلو حديد ، وهذا الاعتقاد الخاطئ عند بعض الناس وليس كل الناس ، وهناك خداع سراب الصحراء حين نتخيل بمدركاتنا البصرية أن ماء يلوح لنا فى الأفق حتى إذا وصلنا إلى هناك لم نجد ماء .

العوامل الذاتية المؤثرة فى الادراك الحسى :

وهى التى تجعل الأفراد يركزون انتباههم على بعض العناصر فى الموقف الادراكى دون بعضها الآخر والتى تجعل استجاباتهم تختلف من فرد لآخر وهناك عوامل شخصية وذاتية فى إدراكنا للأشياء والأشخاص من حولنا مما أدى بالباحثين والمشتغلين بعلم النفس والسيكوفيزيقيا ، إلى اجراء الكثير من التجارب على مجموعات من المفحوصين وهم فى حالة جوع شديد أو ألم جسدى عنيف ،

وأثر ذلك على إدراكهم الحسى ، وهناك عوامل ومتغيرات ذاتية وشخصية كثيرة
فى هذا المجال نعرضها فى النقاط الآتية :

١- نوع محيط الفرد :

ونعنى به الظروف والأحوال التى تحيط بالفرد من ناحية البيئة الفيزيقية " الطبيعية " إضاءة - رطوبة - حرارة - تهوية - تدفئة وما يؤثر فى مجاله الإدراكى ، فى عام ١٩٥٧ م قام كل من ماسلو ؛ ومنتز بدراسة على أثر المكان على سلوك العمال وتحسين إنتاجيتهم ، وقارن الباحثان سلوك العمال فى حجرة مجهزة بإضاءة جيدة وأثاث جيد وتهوية صحية وألوان جدران زاهية ، وحجرة أخرى رديئة التهوية والإضاءة وألوان جدرانها كالحة . وكان هناك مجموعة من المختبرين يقدمون صوراً فوتوغرافية مطبوعة وسلبية للعمال لتقدير نسبة الاشراق والجمال الموجودة فى كل صور فوتوغرافية دون معرفة الهدف من التجربة . وكانت النتيجة تؤكد أثر نوع الحجرة على إدراك العمال لوجوه الصور السلبية المطبوعة كما كانت تقديرات المختبرين متطابقة مع تقديرات العمال على الصور الفوتوغرافية . فى الحجرة الرديئة كان الجميع يشعرون بالضيق والملل والصداع والنوم بعكس الحجرة الجميلة التى كانوا يشعرون فيها بالراحة والمرح والبهجة والسرور والرغبة فى الإستمرار فى العمل .

٢ - الفروق الفردية :

نعيش جميعاً فى بيئات سيكولوجية متباينة أشد التباين ، برغم أننا نحيا فى بيئة واقعية " المحيط " واحدة لنا جميعاً ، فالمنزل الواحد لا يشكل بيئة سيكولوجية واحدة لكل أفراد الأسرة وكذلك المعسكر الكشفى بالنسبة للرياضيين أو أبطال الكشافة وذلك لإختلاف الأفراد فى اتجاهاتهم ومستوى تعليمهم وميولهم وأعمارهم وخبراتهم ، فالناس يختلفون فى مدركاتهم البصرية والسمعية نحو الشئ الواحد .

٣ - التوقع :

كلنا يتوقع أو يأمل فيما يريد أن يراه أو يسمعه فالطالب المتجه نحو دخول لجنة الإمتحان يرى أن كل فرد غريب عن العاملين بمدرسته أو كليته ما هو إلا أحد المراقبين فى لجنة الإمتحان ، واللص يظن أن كل من ينظر إليه يتمعن فى الطريق هو أحد رجال الشرطة لماذا ؟ .. لأنه يتوقع الشر المستطير دائماً ، والشخص المنافق يحسب كل صوت عال أو جلبة أو ضجيج بمثابة العدو المبين أى أن الأفراد طبعوا على رؤية أو سماع المؤلف المتوقع لا الواقع .

٤ - الحاجات الفسيولوجية :

يهتم كل منا بما يعيشه ويفكر فيه ويتحرق شوقاً لتحقيقه فالشخص الجائع لايرى فى الرسوم الملونة الغامضة إلا الفواكه والحلوى وقطع اللحم المشوى ، ومن هنا

فإن أثر الحالة الجسمية أو الفسيولوجية أو المزاجية تفسر مدركاتنا البصرية والسمعية .

٥- الأحكام العاطفية :

للعواطف والميول أثر كبير على تلوين إدراكنا سواء كان هذا الإدراك مدركات بصرية أو سمعية ، ومن ثم كانت عواطفنا الجياشة بمثابة العدو المضل المبين لكل ما ندركه ، ولذا قيل في الفولكلور الشعبي الأصيل " القرد في عين أمه غزال " .

٦- الحالة الوجدانية :

يلعب الانفعال أو الحالة الوجدانية دوراً كبيراً في طريقة إدراكنا الحسى فتصاب مدركاتنا البصرية والسمعية بالتشوه والقلق والإغتراب .

٧- المعتقدات الاجتماعية :

في زيارة ميدانية لإحدى قبائل أولاد علي بالصحراء الغربية لإجراء بعض البحوث العلمية وجد أن هناك بعض المعتقدات الشخصية والاجتماعية لدى أفراد هذه القبائل وهي " التمسك في الوقت الحاضر بحق بن العم في مسك بنت عمه " أى الزواج بها ، كما تحدث عن بعض الأفراد المتقفين ضرر الزواج من بنت العم

وما يجلبه من أضرار وتشوهات وتخلف عقلى وأن هناك حديثاً صحيحاً لا يحض على مثل هذا الزواج ... قال النبى صلى الله عليه وسلم " إغتربوا لا تضروا " أى تزوجوا من الغرباء لكى لا يصبح الأطفال ضعفاء مشوهين ... فكان إدراك هؤلاء القوم من المثقفين لهذا القضية معاكس للحقائق العلمية ولم يوافقوا على هذا الرأى طبقاً لمعتقداتهم الاجتماعية ، وهنا نرى أن هؤلاء القوم يفكرون ويدركون بعقلهم الجمعى " فكر القبيلة " أفضل من عقلهم الفردى ويعتقدون أفكار ومعتقدات القبيلة لا أفكارهم .

٨- النسق القيمى :

فى عام ١٩٤٨ م قام كل من " بوستمان " ، و " برونر " ، ومكجنيز بدراسة علمية على ٢٥ فرداً بهدف الوصول إلى أن النسق القيمى لدى الشخص هو الذى يبلور إدراكه ويحدد إستجاباته السلوكية . وبدأ الباحثون بقياس قيم هؤلاء الأفراد بمقياس معروف هو مقياس القيم لألبورت وفيرنون ، ويضم هذا المقياس ستة أنماط من القيم ، وقدم لهم من خلال جهاز عرض " فانوس سحرى " ٣٦ مفردة تمثل جميع القيم الست وبعد ذلك خرج الباحثون بنتيجة مؤداها أن الأشخاص كانوا يدركون المفردات التى ترتبط بالقيم التى يتمسكون بها أكثر من القيم الهامشية بالنسبة لهم.

٩- أثر الشخصية :

تؤثر سمات الشخصية بشكل أو بآخر فى تحديد إدراكات الفرد لما حوله من مثيرات ، فالشخص المتعصب يأتى حكمه على الأمور بشكل مغاير للشخص الذى يتسم بالتعقل والتمرن .

١٠- بعض المتغيرات والظروف الاجتماعية :

يعيش الفرد فى مجتمع له ثقافة خاصة ، وهو يتعرض أثناء تنشئته الاجتماعية لكثير من الظروف والعوامل التى توجه انتباهه إلى ادراك أشياء معينة ، وبكيفية معينة ، لأن لها أهمية خاصة فى المجتمع الذى يعيش فيه . وبالتالي يصبح أكثر قدرة على إدراك أشياء معينة قد لا يدركها أفراد آخرون لم ينشأوا فى هذا المجتمع .

الادراك والتفاعل الاجتماعى :

يتوقف نجاح أو فشل التفاعل الاجتماعى على كيفية إدراك أطراف التفاعل لبعضهم البعض ، وإدراك الآخرين من أهم وأعقد الأمور التى تواجهنا كل يوم من أيام حياتنا . ولكى ننجح فى تفاعلنا مع الآخرين ينبغى أن نفسر ونفهم ونتنبأ بسلوكهم .

وعندما نلتقى بأشخاص لأول مرة يأتي الإدراك الاجتماعي كأول مرحلة في تفاعلنا معهم وعليه تتوقف نتيجة اللقاء في مدى احتمالية بدء واستمرار أو إنهاء أشكال التفاعل وعلى أي شكل يتم هذا الاستمرار أو الإنهاء للتفاعل .

ومعنى هذا إننا يجب أن ندرك ونفسر قبل أن نقيم تواملاً ذو معنى بالآخرين فكل لقاء اجتماعي ينشأ عنه عدة انطباعات وتوقعات عن الأشخاص الذين التقينا بهم . فقد يرى أحدها في شخص ما أنه لطيف بينما يرى آخر فيه أنه ممل .

والإدراك الاجتماعي يختلف كثيراً عن إدراكنا للأشياء المادية القائمة على الإدراك الحسي في عدة جوانب .

أولهما : إن إدراك الأشياء في العالم المادي يتجه إلى الصفات الظاهرة التي يمكن ملاحظتها من حجم أو لون أو وزن أو طول إلخ . أما إدراك الأشخاص فإننا نهتم بالصفات والخصائص التي لا يمكن ملاحظتها مباشرة وإنما نستدل على وجودها في حياتنا اليومية نقوم بإدراك الآخرين من خلال ملاحظتنا لهم ولسلوكلهم غير أننا قد نصف ذلك السلوك بصفات معينة وقد نعزوه إلى مقاصد أو نوايا أو دوافع معينة ، فنحن نكون أحكامنا عن خصائص لا يمكن ملاحظتها

مباشرة وهذا معناه أن تكوين أحكامنا الاجتماعية - أى المتعلقة بالآخرين - أمر أكثر تعقيدا وصعوبة من تكوين أحكامنا عن الأشياء المادية فى العالم الطبيعى .

ثانياً : أما وجه الاختلاف الثانى المتعلق بدقة الإدراك للآخرين وللأشياء المادية هو أنه حين تتعلق أحكامنا بالآخرين ممن نتفاعل معهم ، فإننا نادراً ما نكون ملاحظين لهم بدون تحيز ، فعادة ما يكون لدينا مشاعر واتجاهات ودوافع مسبقة تؤثر على أحكامنا على الآخرين منذ البداية وهذه التحيزات أو التحريفات الدافعية تزيد من صعوبة دقة إدراك الآخرين كما تزيد من صعوبة التعرف على الخطأ فى أحكامنا .

العوامل التى تؤثر فى الإدراك بين الأشخاص :

تتأثر كيفية إدراك الأشخاص لأنفسهم و للآخرين وللمواقف الاجتماعية بعدة عوامل هي :

أولاً : عوامل تتعلق بالمدرک نفسه :

يتأثر إدراكنا للآخرين بالحالة الانفعالية للمدرک وتعتبر الحالات الانفعالية أحد مصادر تحريف الإدراك ، اذ نميل لأن نسقط كثيراً مما نشعر به على من ندرکهم وعلى بعض جوانب البيئة المادية ، ويمكن أن يكون هذا الإسقاط عملية دفاعية نحاول بها أن نقلل من ضخامة نقائصنا ، كما يتأثر الإدراك بالحالة

المزاجية للمدرك وقت حدوث الإدراك ، فعندما نكون في حالة مزاجية جيدة ندرك الآخرين بشكل أكثر إيجابية عن إدراكهم في الحالة المزاجية السيئة .

ويميل الأفراد إلى الانتباه إلى المعلومات المسبقة عن الآخرين التي تتسق مع

توجهاتهم الشخصية وتوقعاتهم لذا يزرع الفرد إلي أن يجد صفات إيجابية

فيمن يتوقع أن يميل إليه أو يحبه بينما يجد صفات سلبية في نفس الشخص إذا توقع إنه لن يحبه .

كما يتأثر إدراك الأفراد بالمسمى الذي يطلق عليه أو المكانة الإجتماعية التي يشغلها .

ثانياً : عوامل تتعلق بموقف التفاعل :

في بداية التفاعل تأتي أهمية ودلالة نظرة العين المتبادلة بين الطرفين والتي

يمكن أن تجعل التفاعل يتم أو يتوقف فجأة عند إدراك نظرة لها دلالة من شخص

لآخر ، كما أن تعبيرات الوجه لها دلالتها الخطيرة في إدراك الآخر فمنها

تستشعر الشكل الانفعالي لصاحبها وما إذا كان يشعر وقتها بالسعادة . المرح .

الحب . الدهشة . الخوف . المعاناة . الغضب . التصميم . الاشمئزاز .

الاحتقار ، وهي الفئات العامة للتعبير الانفعالي كما أوردها روبرت وردورث .

وبالتالى يتأثر الإدراك بين الأشخاص بالاستجابات الانفعالية قصيرة المدى التى يبدئها أطراف التفاعل ، وخلال التفاعل يحاول كل طرف استنتاج الحالة الانفعالية الوقتية للطرف الآخر .

وفى ظروف الحياة العادية والتفاعل الفعلى بيننا وبين الآخرين فإننا عادة ماالانعمد فقط على تعبيرات وجه الشخص الآخر لى نحكم أو نقيم حالته الانفعالية ، فالموقف وسياق التفاعل ولقاءاتنا السابقة بمن نتفاعل معه ، وأشكال الاتصال السابقة كلها مؤشرات تتيح لنا كثير من علامات التنبيه التى يمكن أن تساعد فى دقة إدراك انفعالات الشخص الآخر .

وفىما يتعلق بإدراك الروابط الوجدانية فهناك أنواعاً معينة من العلاقات بين الأشخاص يسهل إدراكها بدقة ، فمثلاً روابط المودة أو الحب أو الاعجاب يسهل دقة ادراكها عن علاقات الكراهية أو النفور ويرجع ذلك إلى أن علامات التنبيه والمؤشرات اللازمة لإدراك النفور أو الكراهية قد لاتكون واضحة تماماً ، إذ قد يحاول الأشخاص إما انكارها أو تغطيتها وإخفاءها ، فى حين أن العكس هو الصحيح بالنسبة لعلاقات المودة .

بالإضافة إلى ماسبق نجد أن مكانة الأفراد تؤثر فى إدراك الآخرين لهم فى موقف التفاعل ، فكلما أدركنا الآخرين كذوى مكانة عالية كان من الأرجح أن

نعزو لهم صفات وخصائص إيجابية كأن نراهم أكثر مسئولية أو حكمه ويمكن أن نثق بكلامهم بشكل أكبر مما يمكن أن يحدث إذا كانوا منخفضى المكانة الاجتماعية .

كما تلعب الصفات الجسمية دوراً هاماً فى إدراك الآخر فى موقف التفاعل حيث يميل الناس إلى عزو بعض الخصائص الشخصية للآخرين من بعض جوانب ملامحهم ومظهرهم الجسمى .

بالإضافة إلى الملامح والصفات الجسمية الثابتة مثل ملامح الوجه أو الطول أو الجمال فإن مظهر من تدركه يتأثر أيضاً بعدد من التعبيرات وطريقة الوقوف أو الجلوس .. إلخ وهى علامات تنبيه يمكن لأطراف التفاعل التحكم فيها نسبياً على خلاف الصفات الثابتة لمظهرهم وشكلهم وهذه التعبيرات - سواء - شعورياً أو لا شعورياً - تستخدم لنقل المقاصد والمشاعر ، ويؤدى الانتباه إلى مثل هذه التعبيرات والایماءات إلى زيادة دقة إدراك الآخرين وزيادة دقة تصورنا لهم وهى تعد أحد أشكال الإتصال التى لايمكن إغفالها عند التفاعل الاجتماعى .

وبذلك تلعب كثير من العوامل دوراً هاماً فى تشكيل الإدراك الاجتماعى وتكوين الانطباعات عن الآخرين .

الذاكرة " Memory "

تعد الذاكرة إحدى الوظائف العقلية المختصة باختزان المعلومات والخبرات والمعارف التي مرت علينا أو تعلمناها واسترجاعها عند الحاجة إلى ذلك ، وقد يكون ذلك في صورة حسية أو أخرى - فما يتوفر للفرد في خبرته السابقة من إدراكات وأفكار ومشاعر وميول وسلوك وحركات وصور ذهنية يدخل في النشاط النفسى للفرد في المواقف التالية .

وتعد الذاكرة من أهم العمليات العقلية العليا في حياة الانسان ، ويعتمد عليها عدد من العمليات الأخرى مثل الإدراك والوعى والتعلم والتفكير وحل المشكلات والتحدث . والحقيقة أن كل ما فعله تقريباً يعتمد على الذاكرة ، بل أن الحضارة تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق الذاكرة .

وبفضل الذاكرة تثري الحياة العقلية وبدونه يكون التفكير الإنسانى محدوداً للغاية ، حيث يرتبط فقط بالإدراك الحسى المكانى ، ولذلك فهي شرط أساسى للحياة النفسية تتمثل في القوة التي تكمن وراء النمو النفسى فبدونه يدرك الفرد أى احساس يتكرر على أنه خبرة واحدة وبالتالي لا يحدث تعلم ، وبدونها أيضاً لانستطيع أن نخطط للمستقبل .

ولذا فالذاكرة تدخل فى تكوين جميع العمليات العقلية المعرفية وفى بنية القدرة العقلية العامة " الذكاء " ، كما تلعب دوراً هاماً فى التحصيل والتفوق أو التخلف الدراسى .

العلاقة بين الذاكرة والتعلم :

الصلة وثيقة بين الذاكرة والتعلم ، فكل تعلم يتضمن ذاكرة ، فإذا لم نتذكر شيئاً من خبراتنا السابقة فلن نستطيع تعلم أى شئ ويذكر " جيلفورد " أن معظم علماء النفس يعتقدون أن التعلم يحدث تغيرات تركيبية بنائية فى المخ وأن هذه التغيرات يحتفظ المخ بها أو تتبقى على الأقل لفترة محدودة من الزمن ، ثم تكشف هذه التغيرات عن نفسها فيما بعد ، بأن تؤدى بالإنسان إلى أن يسلك بطريقة مغايرة عن تلك التى كان يسلكها قبل التعلم .

ويرى علماء النفس المعرفيون أنه إذا كان التعلم الوسيلة التى نكتسب بها كل الأشكال المتعددة للمعرفة التى نمتلكها ونستخدمها ، فإن الذاكرة مخزن نخزن فيه هذه المعلومات ، والتى تصنف بدقة وتوزع على أماكن متنوعة حتى يمكن استرجاعها بسرعة عند الحاجة إليها . فالإنسان يحاول فى خطوات تجهيز المعلومات فى كل من التذكر والتعلم أن يرتب المعلومات ويصنفها فى أشكال قابلة للإستعادة يمكن استرجاعها ، ولكن النجاح لا يكون حليفاً دائماً فتتسرب منا

بعض المعلومات أحياناً وفي أحيان أخرى قد نخزن معلومة ما في مكان لا يناسبها ، وبالتالي لا نستطيع إرجاعها . وفي كلا الحالتين نقول أننا نسينا ، قد يكون هذا النسيان دائماً ، وقد يلحق الوقت الراهن فقط .

ويتوقف تذكر المعلومات على طريقة اختزانها الصحيح ، أو يعتمد تذكرها على مدى اتباعنا طريقة التعلم الجيد في المقام الأول . وإذا قمنا بهذه المهمة خير قيام فسوف تخزن المعلومات في الذاكرة بطريقة صحيحة يمكن استرجاعها بسهولة وسرعة عند الحاجة إليها .

طرق قياس الذاكرة :

هناك ثلاث طرق أساسية لقياس الذاكرة وهي الاسترجاع أو الاستدعاء والتعرف أو إعادة التعلم .

١ - طريقة الاستدعاء :

وهو استدعاء ما استبقاه الفرد في مستودع الذاكرة من انطباعات وصور ، وبمعنى آخر استعادة الفرد للاستجابات المتعلمه تحت ظروف الاستثارة الملائمة في المواقف اللاحقة وعلى هذا فإن الاستدعاء عبارة عن استرجاع المعلومات من الذاكرة ، ويحدث الاستدعاء دون الرجوع للمنبه الأصلي أي المعلومة التي سبق للشخص أن تعلمها ، وقد يتم الاستدعاء لذكريات بعيدة (كأن نسأل شخصاً عن

ذكرياته فى المدرسة الابتدائية) أو للذاكرة القريبة (كأن يطلب من المفحوص فى المعمل أن يقوم بتسميع سلسلة من الأرقام أو الحروف التى سمعها لأول مرة . (

ومن أهم المواقف التى يستخدم فيها الاستدعاء موقف الامتحان حيث يجتهد الطالب فى أن يسترجع ما سبق له أن تعلمه والنجاح فى الاستدعاء معناه أن التعلم قد تم انجازه بكفاءة أى أن الطالب استطاع أن يأتى بالمعلومة صحيحة من المكان الذى خزنت فيه فى الذاكرة .

ومثال على طريقة الاسترجاع أن تعطى المبحوث وقتاً محدداً لحفظ مادة معينة ، وبعد انقضاء الوقت المحدد تسحب منه المادة التى كان يحفظها ثم تطلب منه أن يذكر لك مايتذكره منها ، وكلما زادت كمية مايتذكره كلما دل على قوة ذاكرته ، وكلما قلت كمية مايتذكره كلما دل ذلك على ضعف ذاكرته .

ويمكن اعتبار مقاييس مدى التذكر وسيلة لقياس الذاكرة بطريقة الاسترجاع ويقصد بمدى التذكر عدد الوحدات التى يمكن للفرد استرجاعها توأ بعد سمعه أو تقديمها له لمرة واحدة وبنفس الترتيب ، وعادة ماتكون هذه الوحدات غير مترابطة أو عبارة عن حروف أو كلمات أو أرقام أو مقاطع أو أبيات شعر .

٢ - طريقة التعرف :

وفيها يتم التعرف على مثيرات تمثل أمام الفرد بمعنى أنها استجابة ألفه بالأشياء أو الموضوعات التي أمام الفرد وخبرها من قبل .

ونموذج التعرف هو أن نعطي المفحوص وقتاً محدوداً لحفظ مادة معينة وبعد انقضاء الوقت نسحب منه المادة ونعطية نفس المادة مختلطة عشوائياً بمادة أخرى من نفس النوع ، ونطلب منه أن يتعرف على المادة السابق عرضها عليه ويميزها أو يستخرجها ، وكلما نجح في التعرف على قدر أكبر من المادة السابق عرضها عليه كلما دل ذلك على ذاكرة قوية وقدرة أعلى على التذكر ، أما إن نجح في التعرف على قدر ضئيل فقط من المادة السابق عرضها عليه فإن هذا يدل على ضعف ذاكرته . وقدرته المحدودة على التذكر .

ومن أمثلة ذلك أن تعرض على المفحوص بطاقة بها عشر صور فوتوغرافية لبعض الأفراد ليحفظها في مدة دقيقتين ، ثم تسحب منه بعد الدقيقتين ويعطى بطاقة أخرى بها الصور العشر السابقة مختلطة عشوائياً مع عشرين صورة فوتوغرافية ، ويطلب من المفحوص تمييز ما سبق أن رآه من صور في البطاقة الأولى وكلما نجح المفحوص في التعرف على عدد أكبر من صور البطاقة الأولى كلما دل ذلك على ذاكرة أقوى .

٣- طريقة إعادة التعلم :

ونموذجها أن نعطي المفحوص قصيدة معينة ونحسب له الوقت الذي لزمه حتى حفظها ثم نتركه لمدة طويلة طويلاً مناسباً ، وربما كانت هذه المدة شهوراً أو حتى سنوات ، ثم نختبر تذكره لهذه القصيدة فإذا به ينسى بعض أجزائها أو معظمها وربما كلها ثم نعطيه فرصة أخرى لحفظها نقيس فيها الوقت اللازم له لكي يتم حفظها . ولا بد أن يكون هذا الوقت أقل من الوقت الذي لزمه لحفظها في المرة الأولى ، ويمثل الفرق في الوقت اللازم لكل من الحفظ وإعادة الحفظ وإعادة الحفظ مقدار النسيان . فكلما زاد هذا الفرق دل على ارتفاع مستوى النسيان وبالتالي انخفاض مستوى التذكر ، وكلما قل هذا الفرق دل على انخفاض مستوى النسيان وارتفاع مستوى التذكر .

وتعد طريقة إعادة التعلم أكثر الطرق حساسية لقياس الذاكرة ، ومع ذلك فهي لا تستخدم إلا قليلاً ، والسبب في عدم شيوعها لأنها منهج مرهق ويستهلك زمناً غير قصير .

أنواع الذاكرة :

١ - الذاكرة الحسية :

تتعرض أعضاء الحس لدينا لعدد ضخم من المنبهات بشكل مستمر ، وعلى الرغم من أن الفرد لا يستطيع مطلقاً أن يتلقى كل هذه المنبهات مجتمعة وينتبه إليها ، فإن كثيراً من المعلومات التي تتلقاها الحواس تدخل إلى مخزن الذاكرة الحسية ، ويبدو أن كثير مما يصطدم بأعضاء الحس يمكن تذكره على الأقل لبرهة وجيزة ، وفي بعض الأحيان لا يمكن تذكره أكثر من ذلك وتشير بعض البحوث الحديثة إلى أن موقع الذاكرة الحسية في الجسم قد يكون شبكية العين ، مع احتمال وجود مخازن حسية مختلفة في أعضاء الحس الأخرى .

والذاكرة الحسية يمكن أن تكون سمعية أو بصرية أو شممية أو تذوقية أو لمسية .
وتسمح لنا الذاكرة السمعية باستدعاء فوري ومحدد .

مثال ذلك عندما يصحح المدرس للطالب نطق كلمة أجنبية فيتمكن الطالب من التمييز بين الصوتين ويستفيد من نصيحة أستاذه .

ويفقد جزء كبير من المعلومات في الذاكرة الحسية بعد ٢٥٠ مللي ثانية (أى ربع ثانية) وإذا عرضت صورة جديدة قبل أن تتلاشى الصورة القديمة فإن الصورة الجديدة تنطبع فوق القديمة وتحجبها . ولكن يمكن حفظ المعلومات مؤقتاً

على الأقل إذا انتبه الفرد إليها وحاول فهم معناها ، مما يؤدي إلى انتقالها تلقائياً إلى مخزن الذاكرة قصيرة المدى .

٢ - الذاكرة قصيرة المدى :

الذاكرة قصيرة المدى هي المرحلة الثانية في المراحل الثلاثية للذاكرة وينتقل إليها بعض المعلومات التي وصلت إلى الذاكرة الحسية وليس كلها ، إذا لا يمكن للذاكرة الحسية أن تخزن مادة ذات معنى كما أنها لا تحتفظ بالخبرات لعدة ثوان ، بل لربع ثانية فقط . وتصور الذاكرة قصيرة المدى على أنها مركز الوعي لدى الانسان ويعتقد إنها تشتمل على الأفكار والخبرات التي مرت بإنسان ما في أى وقت من الأوقات .

ويقوم مخزن الذاكرة قصيرة المدى بالحفاظ على كمية محدودة من المعلومات بصفة مؤقتة (حوالى ١٥ ثانية) ويمكن الاحتفاظ بالمعلومات لمدة أطول في الذاكرة قصيرة المدى بالتكرار أو التسميع وفضلاً عن وظيفة التخزين لمدة محددة فإن الذاكرة قصيرة المدى تعمل بوصفها مركزاً تنفيذياً ، فهي تدخل المعلومات أوتخرج مادتها من جهاز آخر هو الذاكرة طويلة المدى أو المخزن الدائم للذكريات وحتى تنتقل المادة إلى الذاكرة طويلة المدى فلا بد من التعامل معها بطرق أعمق فيلجأ الأفراد إلى طرق متقنة للحفظ : مزيد من الفهم ، التفكير فى

معنى ماسمعه ، الربط بين المعلومات والأفكار وأحياناً يكفى التكرار البسيط للمعلومات حتى تنتقل إلى مخزن الذاكرة طويلة المدى .

وإذا لم تنتقل معلومات ذاكرة المدى القصير إلى مخزن المدى الطويل يحدث التضائل ، وتبدأ المعلومات فى الاختفاء وتزول بعد حوالى نصف دقيقة إذا ان الحجب هو الذى يضعف الذاكرة الحسية ، كما أن التداخل يضعف ذاكرة المدى القصير ويجعل فترة التخزين قصيرة .

وقد استطاع الباحثون التجريبيون تحديد الفترة الوجيزه التى تستغرقها الذاكرة قصيرة المدى عن طريق عديد من التجارب فقد ظهر أن المادة تختفى عادة من مخزن الذاكرة قصيرة المدى وتنسى بعد ١٥-١٨ ثانية تقريباً . ومن هنا نرى إننا نفقد كثيراً من المعلومات بهذه الطريقة وبسرعة كبيرة .

٣- الذاكرة طويلة المدى :

يدخل كثيراً من المنبهات والمعلومات إلى الذاكرة الحسية وينسى أكثرها ولا يتحول إلى مرحلة تالية . ولكن قليلاً من هذه المنبهات ينتج فى أن ينتقل إلى الذاكرة قصيرة المدى ، وهذه هى المرحلة الثانية . وتبقى المعلومات الجديدة المختزنة فى الذاكرة قصيرة المدى نشطة عن طريق التكرار ، وترتبط هذه المعلومات بأى جانب من جوانب المعلومات المتصلة بها والتى توجد من قبل فى الذاكرة طويلة

المدى . وتعقد مقارنات وتفحص علاقات ، ويحدث ميد من الترميز وإعادة الترميز والتسجيل .

وتضم الذاكرة طويلة المدى معلومات احتفظ الشخص بها فترة ما ، وتتراوح هذه الفترة بين دقائق قليلة ، وفترات طويلة تشمل حياة الفرد بأسرها ومن أمثلة المعلومات المخزنة في الذاكرة طويلة المدى : اسمك ، واسم أقاربك ، وعنوانك ، وأغاني الطفولة ، الألوان ، ورائحة الزهور. ولكن يجب أن نلاحظ أن الذاكرة طويلة المدى يحدها التقدم في العمر .

وتعتبر ذاكرة المدى الطويل من أهم أنواع الذاكرة وأكثرها تعقيداً ، فكل ما نتعلمه يجب أن يكون جزء من ذاكرة المدى الطويل حتى يمكن الاستفادة منه في المواقف اللاحقة وإلا أصبح لا قيمة له . ويلعب الإدراك والتعلم دوراً هاماً في تحويل المعلومات إلى ذاكرة المدى الطويل لأن إدراك معاني المثيرات وتحويلها إلى مدركات ، والأعتماد على عمليات عقلية هامة مثل الربط بين المعلومات الجديدة المخزنة الجديدة في ذاكرة المدى الطويل ، ومثل الفهم وإدراك العلاقات والتنظيم وغيرها من مبادئ وقوانين التعلم والإدراك سوف تؤدي إلى تحقيق هذا الانتقال .

ويجب أن نعلم إنه لا يمكن بين ذاكرة المدى القصير وذاكرة المدى الطويل ،
لأنه من المؤكد أن ذاكرة المدى القصير إلى جانب دورها السابق تسهم في إدخال
المعلومات وإخراجها من ذاكرة المدى الطويل وفي نفس الوقت يمكن للمعلومات
المخزنة في ذاكرة المدى الطويل أن تنشط وتنتقل إلى ذاكرة المدى القصير
لتؤدي وظيفة معينة كما هو الحال عند الإجابة عن سؤال في الامتحان .

وقد استطاع الباحثون العاملون في مجال القدرات العقلية المعرفية تحليل النشاط
العقلي المرتبط بالذاكرة ، وتوصلوا إلى وجود ثلاثة عوامل تتعلق بهذا النشاط
وهي:

١- عامل الذاكرة الارتباطية : ويعرف بأنه القدرة على استدعاء عنصر سبق
أن ارتبط بعنصر آخر يظهر أمام الفرد كما تم التوصل إلى عوامل منفصلة لكل
من ذاكرة الحفظ غير الارتباطية وذاكرة الحفظ الارتباطية .

٢- عامل الذاكرة البصرية : يعرف بأنه القدرة على تذكر تركيب أشكال
وموضعها واتجاهها .

٣- عامل مدى الذاكرة : ويعرف بأنه قدرة الفرد على الاستدعاء الكامل
لسلسلة من العناصر أو الوحدات بعد أن يقدم له عنصر واحد من هذه السلسلة

كما يفسر هذا العامل بأنه إمكانية تمييز أكبر عدد ممكن من العناصر أو الوحدات التي يتم استيعابها خلال فترة معينة من الإدراك الفوري.

العمليات الأساسية في الذاكرة :

أما بالنسبة للعمليات التي تتضمنها الذاكرة ، أو المراحل التي تتابع في هذا النظام فقد تبين أن الذاكرة تتضمن ثلاث عمليات ، أو تمر بثلاث مراحل أساسية هي :

١ - عملية التحويل الشفري : " Encoding "

وهي العملية التي بواسطتها يتم تكوين آثار الذاكرة التي تعمل على بقاء المعلومات في الذاكرة .

وتعتبر عملية التحويل الشفري أو التشفير أولى العمليات التي يمارسها الفرد بعد عملية إدراك عناصر المعلومات التي تعرض عليه أو يتعرض لها في المواقف المختلفة حيث يتم في هذه المرحلة تحول وتغيير شكل المعلومات من حالتها الطبيعية التي تكون عليها حينما تعرض على الفرد إلى مجموعة صور أو رموز أي تتحول إلى شفرة لها مدلول خاص يتصل بهذه المعلومات ويميز الباحثون بين نماذج شفرة الذاكرة على النحو التالي :

(أ) الشفرة البصرية " Visual code " حيث يمثل عنصر المعلومات فى الذاكرة بواسطة مظهره البصرى الدال عليه .

(ب) الشفرة السمعية " Acaustic code " حيث يمثل عنصر المعلومات فى الذاكرة بواسطة مظهره السمعى الذى يدل عليه أو بما يدل عليه سماع اسمه .

(ج) الشفرة اللمسية " Haptic code " حيث يمثل عنصر المعلومات فى الذاكرة بواسطة خاصية اللمس التى تميزه .

(د) شفرة دلالة اللفظ " Semantic code " حيث يمثل عنصر المعلومات فى الذاكرة بواسطة المعنى الذى يدل عليه .

٢ - عملية التخزين : " Storage "

وتشير إلى احتفاظ الذاكرة بالمعلومات التى تحول إليها من المرحلة السابقة وتبقى هذه المعلومات بالذاكرة لحين حاجة الفرد إليها ونستدل على عملية تخزين المعلومات ، أى على وجود آثار الذاكرة دون نسيان مما يمارسه الفرد من تعرف أو استدعاء خلال عملية الاسترجاع التى تعتبر المرحلة الثالثة من مراحل الذاكرة.

٣- عملية الاسترجاع :

وتشير إلى إمكانية إستعادة الفرد للمعلومات التي سبق أن اختزنت في الذاكرة ويتوقف استرجاع المعلومات على مدى قوة آثار المعلومات الموجودة في الذاكرة ، وعلى مستوى علاقة هذه الآثار بدلالات الاسترجاع . ولذلك تعتبر مشكلة استرجاع المعلومات من الذاكرة طويلة الأجل أهم مشكلة يتناولها هذا النظام .

وعادة مايمارس الفرد استرجاع الأحداث التي مرت به خلال اليوم وبشكل تلقائي ، فكثيراً ما يستدعى الفرد هذه الخبرات في سهولة ويسر . ولكن على الرغم من أن استدعاء الفرد لهذه الخبرات والأحداث اليومية يدل على حدوث عملية الاحتفاظ والتكامل بين معلومات هذه المواقف ، وما يوجد في الذاكرة من معلومات أخرى ، إلا انه ليس من السهولة واليسر أن يقوم الفرد بذلك بالنسبة للخبرات والاحداث التي يمر عليها عدة أسابيع مثلا ، والمشكلة تكمن هنا في التمييز بين المعلومات التي تتكون من الاحداث القريبة ، وتلك التي حدثت منذ فترة ، وهنا لابد من جهد عقلي يقوم به الفرد لكي يتمكن من استرجاع المعلومات التي مر على تخزينها فترة طويلة . وهكذا لا تعتبر عملية تخزين المعلومات في ذاتها هي المشكلة في موضوع الذاكرة ، ولكن تعتبر عملية الاسترجاع هي

المحور الأساسى للذاكرة ، ولذلك نتناول هذه العملية بشئ من التفصيل لكى نوضح أبعادها .

العوامل التى تساعد على التذكر :

١- نوع مادة التذكر :

كلما كانت المادة المتعلمة ذات معنى واضح قل نسيانها ، كما أننا نتذكر المبادئ الهامة التى تسيطر على حياتنا ولها تأثير جوهري علينا ، والتعلم المنطقى الغنى بالمعاني أكثر فاعلية وفائدة من تذكر نتائجه بالإضافة إلى أن الشعور أسهل فى التذكر من النثر .

٢- عدم التدخل والتعارض :

يحدث النسيان إذا اختلطت مجموعة من الأفكار بمجموعة أخرى ، فإذا تعلم تلميذ مادة جديدة بعد مادة أخرى ، فالمادة الجديدة تطفى على القديمة وهذا مايسمى بالتعطيل الرجعى كمن يتعلم أو يذاكر مادة التاريخ ثم ينتقل مباشرة دون أخذ فترة الراحة إلى مذاكرة درس فى الجغرافيا ، فيطمس درس الجغرافيا ماتعلمه فى التاريخ . أو قد يحدث ما يسمى بالتعطيل البعدى أى أن التعلم أو المذاكرة السابقة تعطل المذاكرة أو التعلم اللاحق مما يؤدى إلى النسيان بدرجة ما ، كمن يتعلم لغة انجليزية ويتبعه تعلم درس لغة فرنسية . وكلما زاد التشابه بين المادتين

موضع الدراسة السابقة واللاحقة زادت درجة التداخل والتعارض مما يؤدي إلى حدوث درجة من النسيان .

٣- طرق تعلم المادة :

أثبتت الأبحاث أن التعلم والتدريب الموزع على فترات أفضل من التعلم المركز والذي يحدث فيه إدخال معلومات في فترة واحدة وفيه يظهر التعب بسرعة والتشتت على الفرد المتعلم ، بينما أثبتت الأبحاث أن التعلم الموزع على فترات قلت فيه عمليات ظهور التعب والتشتت وكذلك النسيان مع زيادة إنتاجية الفرد .

٤- المراجعة :

إن مراجعة المادة التي تعلمها الفرد من قبل في صورة اختبار ينطوى على استرجاع المعلومات أو دراسة المادة التي سبق أن تعلمها يساعد على زيادة التذكر مع الإقلال من النسيان وهذا مايعبر عنه بالتكرار في نظريات التعلم .

٥- العوامل الدافعية :

يعتبر عاملاً هاماً لتنشيط وتوجيه الفرد لتحقيق هدف يصبو إليه فكلما كانت هناك عوامل دافعية كالنجاح أو التفوق أو المكسب أو الفوز ، فهي عوامل

دافعية نفسية تسهم فى الإبقاء على ماتعلمه الفرد كى تدفعه إلى مراجعة التعلم والإقلال من النسيان .

٦- الحالة الصحية العامة :

وهى تتمثل فى الصحة البدنية والصحة النفسية للمتعلم فكلما كان الفرد متمتعاً بصحة جيدة ساهم ذلك فى قدرته على الاستيعاب والانتباه والمثابرة على المذاكرة والمراجعة باستمرار .

٧- المستوى العقلى :

تمثل الذاكرة جزء من القدرة العقلية وبذلك يتأثر التذكر بمستوى ذكاء الفرد وقد أوضحت الأبحاث أن التعلم والتذكر للأفراد الذين على قدر منخفض من الذكاء ، كان تحصيلهم ضعيفاً بعكس ماكان تحصيل الأذكىاء مرتفعاً حيث أن درجة التذكر عندهم كانت مرتفعة .

٨- الجنس (ذكور - إناث) :

أوضحت الأبحاث أن البنات كانت أكثر تفوقاً على البنين من نفس العمر فى تذكر المواد النظرية فى حين أن البنين كانوا أكثر تفوقاً على البنات فى تذكر المواد العملية والميكانيكية .

النسيان " Forgetting "

النسيان هو الصورة السالبة للحفظ ، والتذكر والنسيان هما الوجهان المختلفان للعملة ذاتها فنحن نتعلم شيئاً ما أي أننا نختزنه في الذاكرة ، وعندما نسترجعها في موقف ما نقول أننا قد تذكرناه ، وأن حدث العكس نقول لقد نسيناه .

ويجب التمييز بين النسيان الطبيعي والنسوة وهي عجز كلى أو جزئى عن استرجاع أو تعرف خبرات ماضية . وقد تنشأ من عوامل عضوية كإصابه في الدماغ أو مرض بالجهاز العصبى ، أو تكون النسوة نفسية المنشأ وبها يتجنب الفرد موقفاً لا يطاق كالأم العصبية التى تنسى كل ما يدور حول موت ابنها من ظروف وأحداث وتذكر مادون ذلك ، وكالنسوة التى تصيب من تحدث لهم صدمات انفعالية عنيفة فى حياتهم اليومية ، أو التى تصيب من ينهار من الجنود فى جبهة القتال ، إذ يعجز الجندى عن تذكر اسمه وعن معرفة سنه وأين يسكن ، بل قد لايعود يتعرف على والديه وأقاربه وأصدقائه .

وفى هذه الحالة تكون المادة المنسية خارج حيز الشعور ويمكن استرجاعها بالتتويم المغناطيسى أو بتأثير بعض العقاقير الكيميائية .

وكلما زاد طول الفترة الزمنية كانت المعلومة أو الخبرة أكثر عرضة للنسيان .

أسباب النسيان :

هناك ثلاث نظريات تحاول تفسير النسيان هي :

١ - نظرية التداخل :

تتلخص هذه النظرية في أن قدرتنا على تذكر أي نوع من المعلومات تتداخل مع غيرها من المعلومات المخزنة في الذاكرة ، فإن ما نتعلمه في الحاضر يتأثر عكسياً بما تعلمناه في الماضي ، ويتأثر كذلك بما سوف نتعلمه في المستقبل . وان مختلف المعلومات تتنافس حتى ننتبه لها وتتصارع من أجل البقاء ، ولكنها لا تتجح جميعاً في ذلك .

فما أتعلمه الآن يتداخل مع ما تعلمته من ساعات وينسى بعضه بعضاً .

ويقسم العلماء التداخل إلى نوعين :

أ - تداخل بعدى :

وفيه تتسبب المعلومات الجديدة في نسيان المعلومات القديمة أي أن التعلم اللاحق يفسد أو يضعف التعلم السابق ، فهو تعطيل وكف أو تناقص في التعلم عندما يتلوه نشاط آخر في التو ، وخاصة إذا كان هناك تشابه بين النوعين من التعلم أو النشاط .

ب- تداخل قبلى :

وفيه تتسبب المعلومات القديمة فى نسيان المعلومات الجديدة أى أن التعلم السابق يتداخل مع التعلم اللاحق فيفسده أو يضعفه وهو قبلى لأنه يؤثر على استرجاع المادة التى تعلمها حديثاً .

وتتضح هذه الظاهرة بجلاء عندما تتشابه المادة الجديدة مع أخرى سبق اختزانها فى الذاكرة على حين نقل كثيراً المشكلات الناتجة عن هذه الظاهرة عندما تختلف المادة الجديدة تماماً عن المادة القديمة .

٢- نظرية ضعف آثار الذاكرة وذبولها :

تفترض هذه النظرية وهى من أقدم نظريات النسيان أن آثار الذاكرة معرضة للاضمحلال والتحلل ، بحيث أنها تذبل وتتلاشى مع مرور الوقت ، وفى بعض الأحيان تتلاشى تماماً . ويشبه ذلك الخطوط التى تضعها بالقلم على الورقة ، والتى تخف وتذبل بمرور الوقت ، أو أن تستمر وظيفتها بتتبع هذه الخطوط وإعادة الرسم فوقها .

وعلى هذا ترى هذه النظرية أن الذكريات والخبرات السابقة تضعف آثارها وتضمحل نتيجة لعدم استعمالها . غير أن هناك أدلة كثيرة على خطأها من ذلك ما تدل عليه الملاحظات الاكلينيكية من أن الطفل الذى فقد بصره فى سن الرابعة

أو الخامسة وصل إلى سن النضج دون أن يفقد ماتعلمه عن طريق حاسة الإبصار بحيث يمكن تمييزه بوضوح في سن النضج عن شخص ولد أعمى .

٣- نظرية الكبت :

يرى فرويد والمحللون النفسيون أن السبب الأساسي في النسيان هو وجود دوافع لدى الفرد تدفعه لاستبعاد ذكريات ومواد معينة من مجال ذاكرته ووعيه وإسقاطها في مجال لاشعوره وبالتالي لا يعود يحس بها ولا يتذكرها ولا يعرف شئ عنها ، وكلما حاولت هذه الذكريات المسقطة في اللاشعور أن تطفو على السطح حتى يدركها الفرد ويتذكرها صارت قوة الكبت وقاومتها ووقفت حائلاً بينها وبين منطقة الشعور فتظل هكذا نسياً منسياً .

وهكذا تقول هذه النظرية أن ما نتذكره هو ما لا يقع عليه الكبت وما ننساه هو ما أوقعنا عليه الكبت ، أم لماذا نوقع الكبت على حدث أو خبرة معرفية معينة ولا نوقعها على غيرها فهذا يرجع إلى دوافع الفرد الخاصة وإلى تاريخه وتكوينه النفسى الخاص به وإلى ديناميات شخصيته عموماً ، وما يلجأ إليه من حيل دفاعية وأساليب توافقية .

التفكير وحل المشكلات " Thinking and problem solving "

(١) معنى التفكير وطبيعته :

تعد قدرة التفكير من القدرات العقلية العليا التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية الأخرى ، التي لا تستطيع أن تستخدم التجريدات والرموز .

وتشير طبيعة هذا المفهوم إلى كثير من أنماط السلوك ، وإلى أنواع عديدة من المواقف ، ويظهر تعقد هذا المفهوم ، إذا اعطينا أمثلة لاستخدام الكلمة في الحياة اليومية ، حيث تستخدم بدلا من عمليات التذكر ، والتخيل والتقبل ، والقصد ، والمبادرة ، والاعتقاد . وإذا أعطينا أمثلة لمفهوم التفكير ، مهما اختلفت أشكاله ، وكما تناوله علم النفس بالدراسة بهدف إبراز طبيعته ، سنجد أنه يشتمل على أنواع كثيرة من النشاط العقلي ، فهو يتبدى في عمليات التعلم ، وفي حل المشكلات ، وفي حالات الصمت . ويتبدى كذلك في حالات الشرود والسرحان الذهني .

إذا فالتفكير بهذا المعنى العام يشمل كل أنواع النشاط العقلي أو السلوك المعرفي الذي يتميز باستخدام الرموز التي تمثل الأشياء والأحداث ، أي أنه يعنى معالجة الأشياء والأحداث عن طريق الكلمات والمفاهيم والصور العقلية بدلاً من معالجتها عن طريق النشاط العياني المباشر .

ونظراً لأن موضوع التفكير من الموضوعات المحورية فى علم النفس فإن هذا المفهوم من أكثر المفاهيم اتساعاً وشمولاً ، إذ يتراوح فى دلالاته من عملية الحفظ الآلى إلى عمليات التخيل الإبداعى . ويمكن التعبير عن كل عمليات التفكير بأساليب شديدة التنوع من السلوك . فمن أهم الملامح المميزة للتفكير الانسانى أنه :

(أ) ذاتى : إذ يتميز التفكير بأنه ضمنى وخاص أو ذاتى ، ولكن ذاتيته هنا تختلف عن الذاتية التى تتميز بقية العمليات النفسية الأخرى ، مثل الرؤية ، والانصات ، والشعور ... إلخ ، فهو يحدث بمعزل عن التنبيه الخارجى أو العلاقات بالاستجابة . ففى الاحساس مثلاً نركز انتباهنا على معالجة التغير فى مستوى الطاقة الخارجية . وفى المشاعر الوجدانية نهتم بالمصاحبات السلوكية أو بالتغيرات الفسيولوجية المصاحبة للاستجابات .

أما التفكير فيتميز أنه يحدث فى ظل غياب التنبيه الخارجى أو ظهور استجابات سلوكية صريحة ، لهذا يتوقع أن يتمكن الشخص من التفكير بطريقة أفضل كلما انخفض مستوى نشاطه الخارجى .

(ب) تصویری "أی یتناول عملیات وبناءات معرفية "

التفكير بمعناه العام هو كل نشاط عقلي أدواته الرموز ، أي يستعيز عن الأشياء والأشخاص والمواقف والأحداث برموزها بدلاً من معالجتها معالجه فعلية واقعية . أما التفكير بمعناه الخاص فيقتصر على حل المشكلات بالذهن لا بالفعل . وهذا ما يعرف بالاستدلال أو بالتفكير الاستدلالي .

(ج) علاقئ :

أى يهتم بالعلاقة بين الموضوعات والأحداث خاصة عندما لا يكون لهذه الموضوعات وجود مادي فى البيئة الخارجية .

دلالات ومعانى التفكير :

لمفهوم التفكير والفكر دلالات ومعان متعددة ، فعندما يقول أحد الأشخاص أنه يفكر فإنه قد يعنى :

١- أنه يهتم بما يمثل نوعاً من التناول العقلى للصور والعمليات البديلة الأخرى مثل أفكار فىك كثيراً .

٢- الحكم أو الاعتقاد أو التقويم . مثل أعتقد أن وقت الخروج قد حان ، أعتقد أنك مخطئ .

٣- كذلك يستخدم مصطلح التفكير للإشارة إلى كل من : النية والقصد ، أو التوقع أو الاستدلال ، أو التحقق أو التذكر أو الاسترجاع أو استحضار الخبرات الماضية ، أو اتخاذ القرار ، أو حل مشكلة ، أو التعبير عن التخيل والابداع .

وكما نستخدم الرموز عند التفكير بوجود منبه خارجي ، فإننا قد نستخدم في التفكير أدوات أخرى مثل التصور الحركي . كما يحدث التفكير أحياناً أخرى نتيجة إدراك موقف معين . وكما يتضمن التفكير الإدراك الحسي ، فإنه يتضمن أيضاً التعلم . فالتفكير يعتمد من جهة على خبراتنا التي تعلمناها سابقاً ، أى يعتمد على التعلم والتذكر . ويعتمد من جهة أخرى على تنظيمنا الدقيق لخبراتنا السابقة بطرق جديدة بحيث نتعلم من ذلك أشياء جديدة لم يسبق أن تعلمناها من قبل . ويلاحظ ذلك بوضوح في حل المشكلات وفي التفكير الإبداعي . فالتفكير في معلوماتنا قد يؤدي إلى تعلمنا معلومات جديدة ، ولذلك يسمى بعض علماء النفس التفكير " بعملية التعلم العليا "

أهمية التفكير الإنساني :

لما كان التفكير يتم باستخدام الرموز ، فقد أصبح ذا أهمية كبيرة في حياة الإنسان وأصبح من أهم الوسائل التي يستعين بها في عمليات التوافق والتكيف في حياته اليومية فبالفكير يتحرر الإنسان من قيود الزمان والمكان ، فهو

يستطيع أن يعالج بطريقة رمزية جميع الأشياء البعيدة والغائبة ، والأشياء والأحداث التي حدثت في الماضي ، كما يتنبأ بالأشياء والأحداث في المستقبل.

تعريف التفكير :

يتمثل التفكير في عمليات معرفية ضمنية أو مضمرة . إنه عبارة عن تصور عقلي داخلي للأحداث والأشياء . أو هو الوسيلة العقلية التي يستطيع الإنسان أن يتعامل بها مع الأشياء والوقائع والأحداث من خلال العمليات المعرفية التي تتمثل في استخدام الرموز والمفاهيم والكلمات .

ويشير " همفري " إلى أن التفكير هو ما يحدث في خبرة الكائن الحي سواء كان إنساناً أو حيواناً حين يواجه مشكلة أو يتعرف عليها أو يسعى لحلها . والملاحظ على تعريف " همفري " أن التفكير عنده مرتبط بحل المشكلة ارتباطاً وثيقاً .

أما التعريف الثاني ، فهو تعريف " بارتليت " الذي يشير إلى أن التفكير عملية تجميع للأدلة بشكل ملائم بحيث يتم ملء الفجوات أو الثغرات التي توجد فيه ، ويتم هذا بالسير في خطوات مترابطة يمكن التعبير عنها في حينها أو يتم التعبير عنها فيما بعد .

عناصر التفكير وأدواته :

يتفق معظم الباحثين على أن أهم عناصر التفكير الإنساني وأدواته هي الرموز والعلامات ويتفقون كذلك على أن أهم مكونات التفكير التي تتدرج تحت عنصر

الرمز ، والكلمات والصور الذهنية ، والمجردات أو المفاهيم . أما عن إمكان أن يتم التفكير الإنساني بدون الكلمات والصور الذهنية فهذا موضع خلاف ، كذلك لا يوجد اتفاق على نوع التفكير الذى يتميز بالاستقلال عن الكلمات والصور الذهنية . وهناك عنصر رابع يعد من عناصر التفكير وفى أحيان أخرى يعد أداة من أدوات التفكير . هذا هو عنصر اللغة . وتختلف هذه العناصر فيما بينها من حيث الأهمية ، فبعضها يعد لازماً وأساسياً وذا أهمية شديدة للتفكير ، والبعض الآخر يعد أقل أهمية . وتتحدد درجة أهمية هذه العناصر وفقاً لنوع التفكير المطلوب الآن للتصرف فى أمر ما أو لحل مشكلة محددة . ولهذا سنجد أن بعض أنواع التفكير تتطلب بالدرجة الأولى الصور الذهنية والرموز والكلمات ، كالتفكير التجريدى أو الاستدلال ولكن ليس معنى ذلك أن هناك فصلاً تاماً بين عناصر التفكير أو أن كل نوع من أنواعه يتطلب عناصر بعينها . والأمر ليس كذلك تماماً ، لأن كل هذه العناصر لازمة لكل أنواع التفكير ولكن بدرجات متفاوتة . وإذا كان يشير إلى منبه ما أو أى نوع آخر من الهاديات التى تمثل شيئاً ما آخر ، فإن العلامة تعد نوعاً من أنواع الرموز ، ولكنها رموز ذات طبيعته فيزيقية . فالرمز ينقل إلينا معنى معيناً ويمدنا بمعلومات محددة عن شئ أو حادث يمثله . فكلمة " خطر " الموضوعه على مكان تتجمع فيه الأسلاك الكهربائية تشير إلى معنى معين ، وهو أننا إذا لمسنا هذا الشئ سنتعرض للموت

بالصدمة الكهربائية . وإدراك هذا المعنى يجعلنا نستجيب للرمز الاستجابة المناسبة وهي الابتعاد عن مصدر الخطر ، وهنا يكون للرمز نفعية وبقائية .

أنواع الرموز التي يستخدمها الإنسان في تفكيره :

١- المفاهيم :

المفهوم عبارة عن : معنى عام (أو مجرد) أو فكرة أو خاصية يمكن استخلاصها من شيئين أو أكثر . ويتضمن المفهوم تجميع أو تصنيف شيئين أو حدثين (أو أكثر) معاً ، وعزلهما عن باقى الأشياء ، على أساس بعض الملامح المشتركة والخصائص المميزة لهما ، ويميل الباحثون على اشتراط أن يتصف المفهوم بتجميع أكثر من شئ ، وعزلها كفته متميزة بعد أن كان البعض يرى أن المفهوم هو : أى شئ يمكن التفكير فيه - له معنى - ويتميز عن غيره أو أى معرفة لاتدرك مباشرة بالحواس ، وإنما هى نتيجة لمعالجة الانطباعات الحسية .

ويتم تعلمنا للمفاهيم عن طريق عمليتى التجريد والتعميم والتجريد يعنى استخلاص السمات الأساسية المشتركة بين أفراد فئة من الموضوعات أو المنبهات الخارجية وتحديد مضمون هذه السمات فى شكل مفاهيم يحددها الشخص لفظياً . والتخميم يعنى عبارة عن : تطبيق هذه الصفات المشتركة على مفردات أخرى قد تكون ماثلة أو غير ماثلة أمام المرء .

ويساعد تعلم الطفل للغة على سرعة تكوينه للمفاهيم واستخدامها فى التفكير .
وقد بينت الدراسات أن الأطفال الكبار أقدر من الأطفال الصغار على تكوين
المفاهيم بفضل استخدامهم للغة التى تمدهم بنظام دقيق يمكنهم من استخدام
الكلمات كرموز للأشياء ، بينما الأطفال الصغار قبل تعلمهم اللغة يعتمدون كلية
على الصور الذهنية الحسية والحركية . ويرجع الفضل أيضاً فى تفوق الإنسان
الهائل على الحيوان فى تكوين المفاهيم إلى تفكيره واستخدام اللغة . فبفضل
التفكير واستخدام اللغة يستطيع الإنسان أن يكون جميع أنواع المفاهيم العيانية
والمجردة .

٢ - الصور الذهنية :

هى تلك الرموز العقلية التى تستحضر بها صور الأشياء حينما تفكر فى
موضوع ما فأنت حينما تفكر فى الطعام والشراب والأدوات الأخرى التى ستحملها
معك ، تستحضر صور هذه الأشياء فى ذهنك . وحينما تفكر فى الطريق الذى
ستسلكه أو المكان الذى ستذهب إليه فأنت تستحضر فى ذهنك صور الطريق أو
المكان .

ويستخدم الانسان فى تفكيره صوراً ذهنية من جميع الكيفيات الحسية المختلفة
(بصرية وسمعية وشمية وذوقية ولمسية وعضلية حركية) .

وبالرغم من استخدامنا للصور الذهنية بكثرة فى التفكير إلا أنها ليست ضرورية للتفكير ، إذ من الممكن أن يتم التفكير بدونها ، فمن الممكن أن يتم التفكير باستخدام المفاهيم أو المعانى الكلية بدون أن تصاحبها صور ذهنية معينة . ومن الممكن أن يفكر الإنسان فى حل بعض المشكلات الرياضية أو الفلسفية المجردة بدون الاستعانة بصور ذهنية معينة .

٣- اللغة :

تعد اللغة وسيلة التخاطب وأداة التفكير . أو هى ، سيكولوجيا ، تلك الأنساق أو النظم الاصطلاحية التى تشتمل على مجموعة من الرموز المعرفية التى تمكن الإنسان من التعبير عن خبراته ومعارفه . وفى السياق الاجتماعى ، تعد اللغة وسيلة للتخاطب التبادلى بين الأفراد فى المجتمع الواحد من خلال تعبيرات منطوقة أو مكتوبة ويجب أن نفرق بين المفهوم والرمز الخوى أى الكلمة التى ارتبطت بهذا المفهوم وأصبحت تدل عليه . فقد بينت الدراسات أن الحيوان يستطيع أن يكون المفهوم فهو مثلاً ، يستطيع أن يتعلم أن يستجيب فقط لشكل المثلث ولكن الحيوان لا يستطيع أن يتعلم " كلمة " ترمز إلى مفهوم المثلث . والأطفال الصغار قبل تعلمهم اللغة يشبهون الحيوان من حيث أنهم يستطيعون

أن يكونوا بعض المفاهيم قبل أن يتعلموا كلمات معينة ترمز إلى هذه المفاهيم والعلاقات بالرغم من عدم استخدامهم للغة .

ولوجود هذه العلاقة الكبيرة بين اللغة والتفكير ، فإن بعض علماء النفس ذهبوا إلى القول بأن " التفكير كلام باطن " ويمكنك أن تحلل عملية تفكيرك فى أى أمر من الأمور وستلاحظ أنك تبدو وكأنك تجرى حوار بينك وبين نفسك .

أما عن العلاقة بين التفكير واللغة ، فإنها تتبلور فى فكرة أساسية مؤداها أن الفكر أو التفكير يبحث فى اللغة عن صورة بغير لفظ أو بغير مادة ، بينما تبحث اللغة فى الفكر عن فعل عقلى يعادلها .

أنواع التفكير الانسانى :

هناك صور ومحددات للتفكير جاءت نتيجة لدراسات علمية وقفت على طبيعتها وما تؤديه من أدوار عند حل المشكلات التى يواجهها الشخص فى حياته بصفة عامة ، ولا نزعم أن هذه هى كل أنواع التفكير التى وردت فى تراث علم النفس العام وعلم النفس التجريبي . فهناك أنواع أخرى ولكنها لم تستقر بعد ولم تأخذ حظها من الذبوع العلمى والانتشار .

ونظراً لتنوع معانى مصطلح التفكير بطريقة يصعب على الوصف البسيط أن يستوعبها ، سنقدم فيما يلى تصنيفاً لأنواع التفكير ، كما تناولها المفكرون والباحثون ، وفقاً لستة محاور أساسية هي :

١ - التفكير التجريدى فى مقابل التفكير العيانى أو المحسوس :

(أ) التفكير التجريدى :

ويتمثل التفكير التجريدى فى القدرة أو الوظيفة المعرفية التى تنهض بحل المشكلات معتمدة على تجريد خواص أو كيفيات أو مفاهيم أو مبادئ معينة من بين عدد من الجزئيات بينها أقدار متفاوتة من الاختلاف ، ثم تقوم هذه القدرة بتعميم هذه المبادئ علي كل الأشياء أو المواقف أو العناصر المناسبة سواء التى توجد فى مجال الإدراك المباشر أو غير المباشر .

ويتطلب التفكير التجريدى نوعاً من النظر العقلى الكلى لموقف المشكلة "وإدراك العلاقات وعوامل الاختلاف والتشابه بين الكل وأجزائه ، وبعضها بعضاً والربط بينها ، والذاكرة التصويرية "للموقف ككل . كما يتضمن القدرة علي التعميم والوصول إلى المبدأ والعام ، دون الوقوف عن حد الجزئيات .وينبغى ملاحظة أن النظرة الكلية ليست مجموعاً جبرياً لإدراك الجزئيات ، إنها ادراك شامل للجزئيات

وعلاقتها بعضها بعضاً وعلاقتها بالكل ، فالعلاقات المترابطة جزء أساسى من الإدراك ، كما أنها تعطى الجزئيات معناها .

(ب)التفكير العيانى أو المحسوس :

ويقصد به التفكير الذاتى المحسوس المتصلب المشتت الذى يجمد عند حد الجزئيات ومظاهرها العرضية ، مع فقدان القدرة على الاستقراء والمستوى العيانى من التفكير هو مستوى التمسك بالمحسوس ، الذى يفتقر إلى وجود شبه أساسى أو مفهوم عام أو فكرة كبرى كلية أو مبدأ شامل يجمع بين كل عناصر المشكلة موضوع الحل .

ويجب أن نشير فى هذا المقام إلى أن كلاً من التفكير التجريدى والعيانى ، وغيره من أنواع التفكير الأخرى شأنها شأن كل قدرة أخرى توجد لدى الأفراد بدرجات وأقدار متفاوتة . ولذلك يمكن لكل نوع منه أن يأخذ الشكل الدقيق السوى عند حل مشكلة ما ويمكن أن يأخذ الشكل المرضى المضطرب .

خلاصة القول فى التفكير العيانى أنه ليس صورة مرضية شاذة دائماً كما ينظر إليه ، على الأقل من منظور علم النفس الاكلينيكي وعلم النفس المرضى والطب النفسى والعصبى ففى حالة السواء يتحكم الشخص السوى فى تفكيره بحيث يأتى متوافقاً وملائماً لمتطلبات المشكلة المطلوب حلها ، فإذا كانت تتطلب هذا

المستوى من التفكير بادر به ، وإذا كانت تتطلب التفكير التجريدى ، أغفل كل جوانب التفكير العيانى سالفه الذكر ، وبادر بالاستجابات المجردة . هذا هو ما يحدث مادامت هذه الأنواع من التفكير سليمة وغير معتلة . أما حالة المرض العقلى فإن الموقف السابق ينقلب رأساً على عقب ، إذ يطلب من الشخص أن يستجيب للمشكلة وفقاً للتفكير التجريدى ، فتراه عاجزاً تماماً لانشغاله بخبراته الخاصة وعالمه الذاتى الملىء بالهذات والهالوس وتفكك التفكير .. إلخ .

٢- التفكير الاستدلالي فى مقابل التفكير الحدسى :

(أ) الاستدلال : هو إقامة الدليل ، وهو مصطلح يشير إلى تسلسل عدة أحكام مترتبة بعضها على بعض ، بحيث تكون الأخيرة منها مترتبة على الأولى اضطراراً وكل استدلال عبارة عن : انتقال من حكم إلى آخر ، او هو فعل مؤلف من أحكام متتابعة إذا وصفت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها . وهذا الحكم الأخير لا يكون صادقاً إلا إذا كانت مقدماته صادقة .

(ب) الحدس : يميز بعض علماء النفس " مثل انجلش " بين معنيين للحدث هما:

١- معرفة مباشرة تستمد من تفكير استدلالى ، أى معرفة يتم تلقيها مباشرة مثل المعرفة الصوفية بالله تعالى ، أو الانطباع الغامض الذى ينسب إلى قوى فائقة سوية .

٢-حكم أو معنى يتوصل إليه الشخص دون معرفة مستمدة من عملية التفكير الاستدلالي أو تفكير تأملي . وبناء على هاديات دقيقة ووعي بدرجة تشابه المثال الحالى بخبرات سابقة . ومعظم أحكامنا العملية المتصلة بمسائل معقدة أو بأشخاص تتضمن عنصراً حدسياً كبيراً .

وللحدس أهمية خاصة فى بعض المجالات المهنية ، وبخاصة تلك التى تتطلب جانب العلاقات الإنسانية ، أو الحكم على سلوك الآخرين ، وعلى سلوكنا إزاءهم ، كالتب والإدارة والطب النفسى ، والتدريس والوظائف القيادية ، مدنية كانت أو عسكرية .

وقد يفيد التفكير الحدسى ، بمعناه السيكلوجى الحديث ، فى ميادين المعرفة الجديدة التى لا زالت تشق طريقها لتوفر لنفسها مقادير كافية من المعلومات ، وكل علم جديد يصدق عليه هذا القول ، فهو فى حاجة إلى حل مشكلاته فى ظروف نقصان المعلومات ، ولذلك فإن القادرين على الحدس وحدهم هم الذين اخترعوا وأبدعوا فى مختلف ميادين العلم والفن والأدب .

٣- البساطة فى مقابل التعقيد :

ويمكن التحدث هنا من خلال هذا المحور ، عن العمليات البسيطة للتفكير أو العمليات العقلية أحادية البعد اللازمة للتفكير فى مقابل العمليات المركبة . ويمكن التحدث عن استخدام الكلمة أو اللفظ ، ثم الجملة ، ثم التركيب اللغوى ،

ثم التكوينات العقلية والأفكار المركبة ، ثم التحدث عن المجازات وسياقها الاجتماعي من ناحية ، وكذلك التحدث عن عمليات الاستدلال واتخاذ القرار وحل المشكلات سواء التقريرى منها أو الافتراقى من ناحية أخرى .

٤ - التفكير الواقعى فى مقابل التفكير الخيالى (أو التخيلى)

وفى هذا المحور يمكن التحدث عن التفكير الواقعى الذى يقوم على الخبرات الحسية المباشرة أو على الصور العقلية التى يزودنا بها الإدراك الحسى . وهنا يرتبط التفكير بالواقع المعاش يحاول تغييره أو التوافق معه وعلى العكس من ذلك التفكير الخيالى أو التخيلى . فالتخيل فى جوهره عباره عن عملية إعادة تركيب الخبرات السابقة فى أنماط جديدة من التصورات أو الصور الذهنية التى لدينا عن الموضوعات أو الأحداث التى سبق أن كان لنا بها خبرة سابقة.

وتعد القدرة على التخيل الإبداعى ، الذى يؤلف ويفرق بين صور وخبرات سابقة ، هى اللبنة الأساسية التى يخلق منها الإبداع فى مجالات الفنون والآداب والعلوم وفى مراحل العمر المختلفة ، مما يتجسد إما فى ألعاب توهمية للأطفال ، أو انتاجات فنية أو قصائد شعرية ، أو أحلام وآمال ، أو بناءات وتصورات نظرية أو خطط مستقبلية .

٥- التفكير التقريرى الالتقائى فى مقابل التفكير الافتراقى الابداعى :

تندرج كل أنواع التفكير السابقة تحت التفكير التقريرى الالتقائى والاتباعى ، وهذا النوع من التفكير يتسم نشاطه بالبحث عن حل واحد صحيح ، حيث يكون على المفكر الوصول إلى إجابة بعينها تعد هى الإجابة الوحيدة .

وفى هذا النوع من التفكير لا يكون الشخص مطالباً بالتجديد أو الابتكار أو الاتيان بحل طريف ، بل يغلب أن ينظر إلى الحل الطريف على أنه خطأ . وهذا النوع من التفكير هو الذى تقيسه اختبارات الذكاء المعروفة عادة .

أما التفكير الابداعى الذى يمثل الطرف الآخر لهذا البعد ، فهو نشاط عقلى تغييرى يتميز بالبحث والانطلاق بحرية فى اتجاهات متعددة ، وهو الذى يميز كل نشاط يتصف بالابتكار والتجدد . أو كل نشاط عقلى ابتكارى يقف على العكس من الاتباع والتقليد . ويتعامل مع الرموز اللغوية والرقمية وعلاقات المكان والزمان بطريقة مبتكرة .

ومن أهم قدرات التفكير الابداعى :

١- الحساسية للمشكلات : وتعد هذه القدرة من أهم قدرات التفكير الإبداعى ، إذ لاسبيل إلى إنتاج ابداعى بدون الإحساس بمشكلات تؤرق صاحبها فى مجال ابداعه ، مما يدفعه إلى تجاوز هذه المشكلات بانتاجات ابداعية .

٢- **الطلاقة** : وتتمثل في قدرة الشخص على انتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار والمقترحات خلال وحدة زمنية محددة ، وهناك شواهد عديدة ، من تاريخ المبدعين ، تدل على أنهم لديهم غالباً فيض من الأفكار والمقترحات ، لأن الشخص الذى ينتج عدداً كبيراً من الأفكار وخلال وحدة زمنية معينة يكون لديه ، غالباً في حالة تساوى الظروف الأخرى ، فرصة أكبر لكى ينتج عدداً كبيراً نسبياً من الأفكار الجيدة لذا فمن المرجح أن يتميز الشخص المبدع بالطلاقة في التفكير ، أى باننتاج عدد كبير من الأفكار أو التصورات فى وحدة زمنية محددة .

٣- **المرونة فى التفكير** : وتتمثل هذه القدرة فى العمليات العقلية التى من شأنها أن تميز بين الشخص الذى لديه القدرة على تغيير زوايا التفكير بدلاً من تجميد تفكيره فى اتجاه معين .

٤- **الأصالة** : ويقصد بها القدرة على ابتكار انتاج جديد فالأصالة تعنى الجودة والطرافة . ولكن هناك شرط آخر لابد من توفره إلى جانب الجودة لكى تصبح الانتاج أصيلاً ، هو أن يكون ملائماً للهدف أو للوظيفة التى سيؤديها العمل المبتكر . وتبدو أهمية الملاءمة للهدف ، فى أن الجده وحدة قد تتوفر فى سلوك وأفكار الشخص المضطرب عقلياً . لهذا فإن توفر كل من الجودة والملاءمة شرط أساسى لوصف السلوك والإبداع .

٥- **القدرة على التقويم** : وهى عبارة عن وعى باتفاق شئ معين أو موقف معين أو نتيجة معينة أو انتاج ابداعى معين مع معيار أو محك الملاءمة أوالجودة .. وقد يكون التقويم منطقياً يعتمد على إدراك العلاقات المنطقية بين مواد لفظية تصويرية . كما قد يكون تصويرياً إدراكياً يتصل بمواد إدراكية ، وكذلك قد يتصل بالخبرة فى المواقف الاجتماعية .

٦- **محور التفكير السوى أو السليم فى مقابل التفكير المرضى أو المضطرب:**

(أ) **التفكير السوى :**

يقدم هذا المحور وصفاً للتفكير الإنسانى فى حالة السواء وفى حالة الاضطراب أو الاختلال . ويمكن النظر الى كل انواع التفكير السابقة بعملياتها العقلية المختلفة على أنها تمثل وصفاً للحالة السوية التى يكون عليها التفكير الإنسانى سواء الواقعى منه أو الخيالى ، وسواء الاتباعى التقريرى منه أو الابداعى ، وسواء التجريدى منه أو العيانى وكذلك الحدسى ، مادام الشخص الراشد السوى متوسط الذكاء يستطيع التحكم فى عمليات التفكير المختلفة بحيث يستخدم منها مايلئم امكانيات حل المشكلات فى لحظة معينة.

(ب) التفكير المرضى :

أما إذا اضطرب التفكير ، فقد يأخذ صوراً عديدة من الاضطراب ليس هنا مجال الخوض فيها ، ولكننا سنذكر أكثر صور هذا الاضطراب شيوعاً وهي : العيانية ، والتفكير المتفكك والقابلية للتشتت ، وعدم القدرة على مواصلة اتجاه التفكير ، والتفكير الذى يتسم بالتضمن الزائد ، وكذلك التفكير الذى يتسم بالتضمن الناقص ، والخلط والتفكير الاجترارى .

المراجع :

- ١- أحمد عزت راجح .(١٩٩٤) . أصول علم النفس ، القاهرة ، دار المعارف.
- ٢- أحمد فائق ، محمود عبد القادر .(ب ت) . مدخل إلى علم النفس العام ، القاهرة ، الأنجلو المصرية .
- ٣- سيد أحمد عثمان ، فؤاد أبو حطب .(١٩٧٨) . التفكير دراسات نفسية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية .
- ٤- سمير كامل أحمد .(١٩٩٣) . مدخل إلى علم النفس ، القاهرة ، الأنجلو المصرية .
- ٥- عباس محمود عوض .(١٩٩٦) . علم النفس العام ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .
- ٦- عبد الحليم محمود السيد .(١٩٩٠) . علم النفس العام ، القاهرة ، دار غريب للطباعة .
- ٧- عبد الستار ابراهيم .(١٩٨٧) . أسس علم النفس ، السعودية .
- ٨- عزت عبد العظيم الطويل .(١٩٩٩) . معالم علم النفس المعاصر ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية .
- ٩- على عبد السلام على .(١٩٩٥) . تاريخ علم النفس : اتجاهاته القديمة والحديثة ، القاهرة ، النهضة المصرية .
- ١٠- فرج عبد القادر طه .(١٩٩٩) . أصول علم النفس الحديث ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .